روايات عبير

ذئاب المدينة

www.elromancia.com

مرمورية

Nancy CONRAD

N° 626

روايات عبير

أمسكني إن استطعت .

تتمسك تقاليد "كروكد فورك" بأن الرجل الذي يطارد امرأة ويمسك بها يتزوجها . وعلى الرغم أن "سكاي" كانت قد وهبت نفسها لمجتمع الجبل الصغير فإنها أخذت تعمل على ألا يلحقها أي رجل من المستعمرة . ولسوء حظها كان وصول "كول دنتون" من المدينة جعل قلبها يسرع في الدق وخطواتها تبطئ .

سحرتها عيناه الرماديتان الدافئتان وجسده الطويل ذو العضلات البارزة وأحست بأنها التقت أخيرا بمن يضارعها .

لم يتوقع رجل المدينة "كول دنتون" هذه المعارضة عميقة الجذور لمنطقة المنتجعات التي كان يبنيها ولكنه لم يتوقع أن يرى الرجال يطاردون النساء فوق الجبل لقد وجد نفسه أسير سحر "كروكد فورك" المبهج ولصاحبة الشعر المتطاير التي لا يمكن الإمساك بها أم هل يمكن الإمساك بها ؟

ISBN 9953-443-04-1

9 789953 443041

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ملخص الرواية

تقع أحداث هذه الرواية في مستوطنة في منطقة نائية من شمال أمريكا حيث يعيش الأهالي وفقا للتقاليد القديمة ،ويتبعون في العلاج والولادة الطرق السحرية التي تتبعها الطبيبة الساحرة منذ وقت بعيد . وبطلتنا حفيدة آخر سلالة القابلات الساحرات في المستوطنة ولكنها تلقت بعض التعليم الجامعي كما تقوم برسم بعض اللوحات ثم تبيعها لمحلات التذكارات لتباع إلى السياح الذين يترددون على القرية . تأتي إحدى الشركات العملاقة لإقامة منتجع سياحي في المنطقة نظرا لما تتمتع به من مناظر رائعة . إلا أن الشركة تقابل من الأهالي بالعداء والمقاومة ويأتي صاحب الشركة بنفسه لحل المنازعات التي قد نتج عنها تأخير العمل في الموقع حيث تنشأ علاقة عاطفية بينه وبين بطلتنا وتتطور الأمور حيث إن البطلة كانت شبه مرتبطة بشاب من جيرانها تربت معه وترعرعت ، وكان من تقاليد هذه المستوطنة أن من يلحق بالبطلة في سباق تهبط فيه الجبل المحفوف بالمخاطر يكون من حقه أن يتزوجها وقد عجز جارها وصديقها على اللحاق بها مما أوغر صدره ضد مدير الشركة وأخذ يشترك في محاربته وتأليب إخوانه عليه . يستمر الصراع قاسيا قسوة الحياة على الجبل . أما كيف تنتهي الأمور فهو ما ستعرفه – أيها القارئ العزيز – إذا ما تابعت الرواية المثيرة ، حتى النهاية .

شخصيات الرواية

١ – "سكاي آرشر" : فتاة تعيش فوق الجبل بمفردها وقد ورثت عن جدتها مهنة القابلة وطبيبة الأعشاب .

٢ – "كول دنتون" : رجل في الخامسة والثلاثين من عمره صاحب "ومدير شركة "دنتون" للتحقيقات السياحية .

٣ – "توم زيل" : جار وصديق الطفولة لـ"سكاي" شاب مشاغب .

٤ – "بوب چونز" : صاحب المتجر العام بالقرية .

٥ – "ليني" : صديقة الطفولة لـ"سكاي" .

٦ – "ديدريه" : حبيبة "كول" السابقة .

إذن أنت ستتزوجين حقا الرجل الذي يلحق بك وأنت هابطة الجبل جريا ؟

ظلت "سكاي" صامتة لحظة ثم قالت :

– أعتقد أن علي أن أفعل ذلك . ولكن يبدو أن هذا لن يحدث . لم يلحق بي أحد بعد ولست أدري إلى متى سأظل أمارس هذه اللعبة ؟

فجأة تغير صوت "كول" وأصبح منخفضا وخطرا .

– ماذا سيحدث لو أن شخصا من خارج المستعمرة أمسك بك؟

– أنا .. أنا لا أعرف .. لم يسبق لي أن فكرت في ذلك .

– أراهن أنني أستطيع الإمساك بك .

ضحكت بصوت عال :

– إنك لن تستطيع .

– بل أستطيع .

www.elromancia.com

الفصل الأول

وضع الشاب نظارته فوق أنفه وأشار نحو صف من أشجار البلوط على جانب الجبل البعيد صائحا :

– هناك .. حيث ذهبت !

– أين ؟

– إنها تجري على طول ضفة الجدول .

رفع "كول دنتون" نظارته المعظمة وأخذ يفحص المنظر الطبيعي غير المستوي أمامه . فجأة رأى حركة وسط الحقل كشفت الهاربة . عندما ضبط العدسات على المخلوقة الحافية الهاربة أخذ نفسا عميقا وسريعا .

– يا إلهي ! إنها فاتنة . كان يستطيع أن يرى تقاطيعها الأنثوية بوضوح تحت الثوب القطني الملتصق بجسدها وشعرها الطويل الفاحم يطير وينساب خلفها في شلال حريري ولكن أكثر ما أثار انتباهه هو التعبير الذي يعلو وجهها . كان تعبيرا نقيا وعفويا للمرح وهي تقفز من صخرة إلى صخرة وتشق طريقها بمهارة خلال أشجار الجبل الكثيفة . أعاد "كول" نفسه بصعوبة إلى الوضع الحالي وسأل الشاب في تشكك :

– هل هي الشخص الذي سبب لك كل هذه المتاعب ؟ إنها ليست سوى طفلة !

سلك الشاب الأصغر من "كول" سنا حلقه وكان صوته عندما تكلم دفاعيا :

– قد تبدو مثل الطفلة ولكن لديها نوع من القوة بين السكان المحليين هنا . وهم يفعلون ما تقوله وأنا لست متأكدا ولكني أشك في أنها زعيمة مجموعة كانت تعطل أعمالنا .

قال "كول" وهو يوجه المنظار المعظم مرة ثانية على الفتاة التي تجري إلى أسفل سفح الجبل :

– لقد فهمت لماذا يهتم بها الرجال وعلى أي مستوى .

هاي ! هناك شاب ما يتبعها .

شرح الشاب :

– هذه هي اللعبة على ما أظن . إنها تبدأ من كبينتها صاعدة سطح الجبل صباح كل اثنين وعندما تمر بمجموعة الكبائن هذه في منتصف الطريق لأسفل الجبل والتي يطلقون عليها اسم المستوطنة يقوم رجل أو اثنان ممن يعيشون فيها بمطاردتها . أو هكذا قالوا لي . رفع نظارته المعظمة هو الآخر فوق عينيه وقال :

– نعم .. هذا "توم زيل" إنه يتبعها كثيرا .

أحس "كول" بالضيق من الوضع كله .

– لست أفهم . أتعني أن الرجال البالغين يطاردون هذه الفتاة حتى أسفل الجبل .. كنوع من اللعبة ؟

تنهد الشاب وخفض نظارته المعظمة .

– إنه نوع من التقاليد .. لقد حاولت أن أجعلهم يكفون . إنهم يجرون مباشرة إلى نهاية أملاك "كول دنتون" للاستشفاء ولا ينتهون إلى المطاردات وأنا قلق من قضايا التعويض لو تم القبض على واحد منهم أو أصيب بضرر . إن هذه الجبال مملوءة بالثعابين السامة .

أومأ "كول" برأسه وهو لا يزال يراقب الفتاة كانت تنتعل صندلا من الجلد فقط قذرا قديما وإن ظل نوعا من الحماية ضد الثعابين في بلد الثعابين وهم أيضا لا يتمكنون من الإمساك بها .

– ماذا ؟

أوه ... تقصد الرجال الذين يطاردونها ؟

بدأ ينظر إلى السباق باهتمام .

كان الرجل الذي يتبع الفتاة يتحرك بسرعة وبعد لحظات لحق بها ولكنها اندفعت عبر جدول الماء ومنه إلى أكثر مجموعة الشجر كثافة وبعد دقائق أصبح وراءها بمسافة بعيدة ، كان "كول" يستطيع بسهولة أن يرى تعبير الإحباط على وجه الرجل عندما اكتشف عدم جدوى مطاردته .

شعر "كول" دون أن يعرف السبب أن الفتاة لم يمسكها ذلك الرجل ، ثم أعاد تفكيره إلى الأعمال العادية التي يمارسها ، واستدار نحو الشاب الذي يوجد بجانبه . قال :

– حسنا يا "چو" ! شكرا لأنك أخبرتني ويمكنك أن تعود إلى "دينفر"

حيث ستجد تعليمات مهمتك التالية . قال "جو" وهو يرفع نظارته مرة أخرى :

– أنا آسف جدا يا سيد "دنتون" . أرجو الا أكون قد استبعدت عن أملاك "دنتون" للاستشفاء بسبب ما وصلت إليه الأمور هنا .

قال "كول" دون التزام :

– سنرى ذلك .

كان من الخطأ تكليف خريج كلية حديث بمسؤولية العملية . أخذ في ذهنه فكرة بأن يخبر أخاه أن "جو" يحتاج إلى مهمة لها قائد معين بالفعل . عندما سار الشاب في تردد خارج الكبينة الصغيرة تذكر "كول" سؤالا :

– ماذا قلت عن اسمها ؟

– "سكاي" .. "سكاي آرشر" .

بعد رحيل "جو" أخذ "كول" يحدق إلى جانب الجبل حيث اختفى الهاربان عن ناظريه . لم يكن يريد هذه المهمة ولا أن يتأقلم مع المشاكل التي سببها أخطاء رجل غير مجرب وبعض الخدع الطفولية التي يلعبها السكان المحليون . ولكن إحساسه بالعدالة أخبره أن شقيقه الأصغر كان على حق عندما أصر على حضور "كول" شخصيا ليحل هذه المشكلة .

كان "جون" قد أخبره بصراحة :

– لقد كنت تدفع العمال للجنون يا "كول" ، إنك تدفع الجميع بشدة بما فيهم أنت . أعلم أنك لا زلت غاضبا بشأن "ديدريه" ولكن–

قاطعه "كول" :

– لا دخل لذلك بالأمر .

عندما استعاد الذكرى اعترف بأن الطريقة التي نحته بها "ديدريه" جانبا جرحت كبرياءه حتى وإن لم يكن يحبها . بينما فهم رغبتها الشابة في فرد جناحيها فلم يكن من الواجب أن تفعل ذلك مع موظفيه . استمر وهو يتجاهل نظرة الشك على وجه أخيه :

– ثم .. لا أريد أن أضيع الوقت في الاحراش لحل مشاكل يستطيع أي موظف كفء أن يتعامل معها بسهولة .

قال له "جون" :

– إن المشاكل أخطر مما توقعنا .. إن الناس في المنطقة ينهبون المنتجع الذي نقيمه والسياح يخافون من اعتداءاتهم عليهم ،وأنت تعلم يا "كول" فإن "كروكدفورك" بـ"كلورادو" هو المكان الذي تريد أن نتخصص في العمل به وبهذه الطريقة تستطيع منتجعات "دنتون" أن تخرج عن المنطقة الخطرة بسلام . ولكن إذا لم تسوا الأمور مع المحليين فإن الأمر لن ينجح .

– لماذا لا تذهب وتسوي الأمر بنفسك إذن .. ؟ أنت تعرف أنني أسعد في المدينة .

لم تكن المدينة هي التي تهمه بقدر سرعة العمل وانشغاله حتى أنهم أطلقوا عليه حمى العمل .

وإن لم يكن العمل صفة سلبية بالنسبة إليه فهو يعشقه قال له "جون" :

– لأنني محتاج إلى أن أكون هنا مع المهندسين المعماريين للعمل في خطط منتجع "سبرنج" وأنت الوحيد الخبير في العمل وذلك سيفيدك ويخفض من ضغط دمك عندما تخرج وتتنفس هواء الجبل .

وافق "كول" كارها أن يقوم بالمهمة ولكنه الآن يتمنى لو أنه لم يفعل .

– إن المكان هادئ بدرجة ملعونة نظر حوله داخل الكبينة التي من المفترض أن تكون بيته طوال أشهر الصيف القادمة ثم زفر زفرة ثقيلة .

– لقد أنشئ المكان من أجل الاسترخاء ولكنه لم يحس بأنه في المكان المناسب . اتجه نحو الباب ليس هناك وقت أفضل من الآن لمراجعة سلوك السكان المحليين الحقيقي نحو المنتجع الجديد في قريتهم وليكتشف هل "سكاي آرشر" هي حقا زعيمة العصابة المخربة .

*****

عندما وصلت "سكاي" إلى أسفل الجبل أبطأت خطواتها وأصبح السباق غير الرسمي داخل حدود القرية منتهيا أخرجت دفتر الرسم من حقيبتها القماش الواسعة لتفحص رسوماتها . كانت سليمة ولم تفسد من الجري السريع الذي قطع أنفاسها إلى سفح الجبل .

ابتسمت لنفسها في ارتياح .

لقد كانت أجمل الرسومات التي رسمتها حتى الآن وكانت واثقة بان محل التذكارات سيتمكن من بيعها بسعر مرض .

كانت وهي تسير تتلفت حولها إلى القرية الجبلية النائمة . كان الوقت لا يزال مبكرا بينما فتحت بعض المحلات الصغيرة الصفراء أبوابها . امتعضت عندما رأت اللوحة الضخمة الصفراء أمامها مباشرة وقرأتها بصوت عال "منتجع "دنتون" الترفيهي" . استدارت بعيدا عن المنظر .

فجأة أحست بيد قوية تمسك بكتفيها . انتزعت نفسها بغريزتها من اللمسة غير المعتادة ودارت حول نفسها بسرعة . جرت نظرتها من الصدر العريض إلى أن استقرت على أبرد عينين رماديتين رأتهما في حياتها . ارتجفت على الرغم منها وصاحت :

– ماذا تريد ؟

– أن أتحدث معك .. هيا سأقدم لك قدحا من القهوة . كان صاحب العينين الرماديتين الباردتين غريبا ومع ذلك لم يكن يشبه أيّا من السياح الذين يأتون إلى القرية في اطراد هذه الأيام . بدا قويا له كتفان عريضتان وكفان واسعتان وشعره الداكن به آثار الشيب البسيط عند فوديه . وبدت سترته الرياضية وبنطلونه الرقيق أكثر فخامة مما اعتاد ارتداءه سكان الناحية المسماة "كروكد فورك" ومعظم السياح لا يستطيعون شراءها ومع مظهره الارستقراطي فهو غريب ولم تعجب لهجته "سكاي" .

قالت :

– أنا لا أعرفك ولا أريد من الرجال الأغراب تقديم القهوة لي .

قال وقد مسح جسدها بعينيه إلى أن استقرتا على عينيها :

– أمامنا بعض الأعمال التي لابد أن نناقشها .

– لست أعرف أن هناك عملا لك معي .

أمسك بذراعها ووجهها نحو المقهى .

– هيا بنا للداخل وسأشرح لك .

أثارتها لهجته الواثقة وكذلك فعلت لمسة يده على ذراعها ، إنه لم يقل حتى ماذا يريد منها وإنما افترض أن عليها أن تذهب معه . لكن "سكاي آرشر" لم تتلق أوامر من أحد منذ أكثر من سنتين منذ وفاة جدتها ،وليست

لديها النية أن تتلقى الأوامر الآن . كانت مشكلتها الملحة هي أن تتخلص من اليد القابضة على ذراعها .

تحركت معه نحو المقهى مستغلة اللحظة المناسبة ، وعندما أحس بانها تتحرك بجواره أرخى قبضته .

في لمح البصر نزعت نفسها منه وصعدت جريا الدرجات التي تؤدي إلى محل "بوب" للتذكارات . عندما وجدت نفسها في أمان خلف السور عند عتبة المحل نظرت من أعلى إلى وجه الرجل المذهول ولم تستطع أن تقاوم ابتسامة انتصار لهروبها السهل . قال :

– هاي عودي إلى هنا .

إنني لم أكن أؤذيك وإنما فقط أردت الحديث معك .

زادت ابتسامتها عمقا عندما رأت كل علامات الغرور تختفي من صوته صاحت نحوه :

– إنني لم أذهب إلى هذه الأماكن مع الغرباء وأمامي الكثير لأفعله .

أخذ قلبها ينبض بشدة واجتازت الباب إلى داخل محل التذكارات .

كانت لا تزال تتساءل عن رد فعلها نحوه وتتعجب وهي تعمل لوقت متأخر في كبينتها . وكانت الشمس تتسلل خلال النافذة المفتوحة بينما انساب الهواء المعطر برائحة البلوط والأرز . أخذت تتنفس في تلذذ وأسندت ظهرها بعيدا عن لوحة الرسم . لقد كانت الكبينة مغلقة معظم الشتاء ورحبت بالهواء الطلق كنوع من التغيير وكعلامة على قدوم الربيع . أخيرا عادت أفكارها إلى مواجهتها مع ذي العينين الرماديتين الباردتين هذا الصباح وهزت رأسها .

لقد كان فحصه الدقيق والرجولي لها جعلها تحس بعدم الارتياح ما الذي يريده منها ؟ ولماذا أحست بعدم الاستقرار إلى هذه الدرجة معه ؟ وهي التي اعتادت أن تكون هادئة ورزينة .عندما كانت صديقاتها يسبلن أعينهن حالمات بالمراهقين من الشباب لم تحس باية رغبة أن تقع في الحب . وعندما اضطرت مشاكل الطوارئ بقية الناس أن يهربوا من الموقف ظلت هي يعتمد عليها لأداء المهمات الصحيحة فلماذا جعلها هذا الغريب تحس بانها مهزوزة للغاية ؟ قالت لنفسها في حسم أن تنسى الأمر وعادت إلى

www.elromancia.com

لوحة الرسم بالفحم التي أمامها . كانت صورة غزالة صغيرة . سمعت طرقة على الباب جعلتها تتوقف . نادت :

– ادخل .

لم يكن الكلب "فارمر" قد نبح فلابد أن القادم شخص تعرفه . فتح الباب .

– هاي يا "سكاي" إنه أنا .

– "لبني" ! لقد عدت !

في لحظة كانت "سكاي" واقفة على قدميها وعبرت الأرضية لتحيي أقدم صديقاتها :

احتضنت المرأة ذات الشعر الأشقر ثم خطت للخلف لتنظر إليها . لاحظت في الحال انتفاخ بطن "لين" والتقت عيناها بعينيها وسألتها :

– منذ متى وأنت حامل ؟

– في بداية شهر حزيران (يونيو) .

جلست "لبني" في أحد مقاعد البلوط السوداء أمام مائدة الطعام.

– لهذا السبب عدنا . لم يستطع "بوب" أن يجد وظيفة في "دينفر" ولأن هذا طفلنا الثالث –

أومأت "سكاي" برأسها في تعاطف . هنا في الجبال تستطيع "لبني" و"بوب" على الأقل أن يكونا بين العائلة التي يمكن أن تعاونهما على الرغم من عدم وجود أمل في أن يعثر "بوب" على عمل هنا .

أنصتت إلى صديقتها وهي تصف فترة بقائهما مدة ستة أشهر في "دينفر" والتي انتهت بالفشل يا للمسكينة "لين" إنها في الثانية والعشرين فقط ولديها طفلان والثالث في طريقه وزوجها عاطل لقد ظهرت الآيام القاسية على وجه "لين" الذي تجعد وظهرت دوائر سوداء تحت عينيها تظهر الليالي الطويلة المسهدة .

قالت "لين" بينما مالت "سكاي" للأمام تنصت وهي تبتسم في عيني المرأة الشقراء . لقد كانت سريعة الكلام ورحبت "سكاي" بذلك لأنها كانت تفتقد الصحبة سألت "لين" :

– ولكن هل سمعت آخر الإشاعات في المستوطنة ؟ خمني ماذا يقول

"توم زيل" عنك ؟

– لا . . لا – ماذا ؟

– إنه يفكر في الكف عن المطاردة وهو يفكر في أن يطلب الزواج منك على أية حال .

قالت "سكاي" بصوت يشوبه الدهشة والتهكم :

– أنت تمزحين ! من قال لك ذلك ؟

تحركت المرأة الشقراء في وضع أكثر راحة :

– إن المستوطنة تثرثر حول الأمر يا "سكاي" . إنهم يتدخلون فيما يخصك وبعض كبار السن لا يحبذون زواجك .

مشطت "سكاي" شعرها للخلف بأصابعها وهي تحس بالندم :

– إن المطاردة أصبحت مثيرة للسخرية ، ليس مجرد أن أمي وجدتي عثرتا على زوجيهما بهذه الطريقة يعني أن علي أن أفعل مثلهما . إن الزمن تغير .

قالت "لين" :

– ولكني ظننت أنك تؤمنين بالمطاردة . لقد قال "توم" إنك أخبرته إنك ستتزوجينه لو أمسك بك .

– لقد قلت له ذلك فعلا من وقت بعيد ولكن فقط لأنني أعرف أنه لن يستطيع أن يمسك بي وأنا أجري هابطة الجبل . . ولن يستطيع ذلك أي من الرجال .

فحصت "لين" صديقتها وقد بدا التأكد في عينيها .

– في يوم ما ستقابلين الرجل الذي يستطيع أن يحتفظ بك وعندما يفعل ذلك ستعرفين ذلك .

انتقلت "لين" لإشاعة أخرى في المستوطنة وأخذ عقل "سكاي" يتساءل إنها لا تريد حقا أن تتزوج "توم" ولكن التوقعات في المستوطنة كانت محدودة للغاية وهي تريد تكوين أسرة لا محالة حتى على الرغم من أن "لين" تعاني المصاعب بسبب طفليها . وأحيانا كانت "سكاي" تحسدها . سألت "لين" عندما سكتت لتلتقط أنفاسها :

– من أخذ طفليك بعد الظهر ؟

– إن أمي في البيت لذا هي ترعاهما ومنها سمعت كل شيء عن "توم" . أتمنى أن تقومي بتوليدي هذه المرة أيضا يا "سكاي" كما فعلت مع "سارة" و"جيسون" إنني سأحس بالاطمئنان لو عرفت أنك ستعتنين بالأمر من أجلي .

– لست أشعر بالارتياح نحو الموضوع بعد ذلك .

– ولكنك تعرفين بالضبط ماذا تفعلين .

– بالتأكيد في معظم الحالات . لقد كنت مع جدتي . تقريبا في جميع حالات الولادة التي قامت بها ولكننا الآن لدينا المستشفى على بعد عشرين ميلا فقط وهي أكثر أمانا وإذا حدث مكروه فإن لديهم المعدات لمعالجته .

– ولكني لا أريد العودة إلى المدينة .. إنني أكره الزحام والضوضاء . أوشكت "سكاي" أن تضحك . كانت المدينة حيث المستشفى الجديد ليست كمدينة حقيقية وعرفت ذلك عندما قارنتها بـ"دينفر" في أثناء دراستها بالكلية مدة سنتين ولكن الناس من أمثال "لين" لا يعتادون الحياة في المدينة وربما كان ذلك في الحقيقة السبب في أنها لم تنجح هي و"بوب" في المدينة واضطرا للعودة إلى الوطن . مالت على صديقتها وقالت بحزم:

– ما عليك إلا أن تكفي عن فكرتك . ستلدين طفلك في المستشفى حيث الأمان أكثر والآن خبريني كيف كنت تشعرين ؟

– شعورا فظيعا في الصباح . لقد عاد لي الغثيان ولكني أشعر بالتحسن بعد الظهر ،وفي المساء .

قالت "سكاي" وهي تستدير نحو دولاب وهي تخفي تجهمها.

– ساعطيك بعض الشاي الذي سيساعدك .

كان الوقت قد تأخر على "لين" لتشعر بالغثيان وهي حامل في شهورها الأخيرة لذا أحست "سكاي" بالارتياح لأنها أصرت على أن تلد في المستشفى . لقد سادها شعور بالخوف على صحة "لين" بصفة عامة ، شغلت نفسها بأن تعبئ الشاي من إناءين وقالت لها وهي تناولها العبوة الصغيرة :

– هاك ! ضعي ملعقة على قدحي ماء واشربيهما كل صباح وتأكدي من تناول قطعتي توست وبعض الحبوب معها .

– حسنا يا دكتورة .

تمنت "سكاي" أن تتبع "لين" التعليمات . إن مكونات الشاي العشبي تساعد على القضاء على الغثيان والأهم منه هو الإفطار . كانت تعلم أن "لين" تحاول الاقتصاد في الوجبات وإسقاط بعضها خصوصا عندما تكون متوترة أو قلقة ولكن أصدقاء "سكاي" كانوا يعتقدون في مائدة أعشابها الطبية وهو ما قد يساعد صديقتها على التغلب على الغثيان .

سمعت صوت باب سيارة يصفق بشدة وسمعت صوت نباح "فارمر" خلال نافذة الكبينة الصغيرة مما جعل المرأتين تنتبهان . لقد كان ظهور الغرباء نادرا في هذا المكان المرتفع من الجبل ولكن لابد أن هذا هو السبب في نباح الكلب بجنون .

أسرعت "سكاي" إلى الباب وتلصصت خلاله ولكن الممر أمام كبينتها كان خاليا ولم تر أحدا .

– أسكتي كليك . هل يمكن أن تفعلي ذلك ؟

كان صوت القادم خشنا متبرما مما جعل قلب "سكاي" ينبض بشدة .. لقد كان رجل الصباح .

كانت "لين" تنظر من فوق كتف "سكاي" وخرجا معا من الكبينة وهبطا الدرجات القليلة إلى حيث كان "فارمر" يزمجر . عندما شاهدتا ما كان يفعله الكلب وقفتا فجأة ثم نظرت كل منهما للأخرى وانطلقتا في القهقهة .

كان "فارمر" قد التصق بالأرض وهو يزمجر وقد وقف شعر رقبته بينما الرجل الطويل قد أمسك بعصا سميكة في حين أمسك "فارمر" بطرفها الآخر وقد بدأ الصراع بينهما و"فارمر" يزمجر طوال الوقت .عندما سمع الغريب المرأتين تضحكان ألقى بطرف العصا بينما نظر "فارمر" إلى سيدته ثم تسلل إلى الأشجار واختفى ومعه العصا . قال بصوت متضايق :

– إن منظر هذا الوحش لا يسر النظر عن قريب ، هل هو ملكك ؟

أومأت "سكاي" برأسها وهي غير قادرة على كتم ابتسامتها .

– آسفة لأنني ضحكت ، كل ما هناك أن العصا هي لعبته المفضلة ، وظن أنك تلعب معه .

تجهم الغريب وأزال الغبار عن يديه بجانب بنطلونه .

– أريد أن أتحدث معك بصورة جادة .

ترددت لحظات . أحست بعدم الارتياح لوجوده ولكن على أية حال لقد قطع الرجل كل هذه المسافة صاعدا الجبل وسط التراب والقاذورات وتعرض لاستقبال "فارمر" المتوحش ، وأقل ما تفعله هو أن تدعوه للدخول والإنصات لما سيقوله قالت وهي تستدير نحو الكبينة :

– هيا تعال ادخل .

قالت "لين" :

– أعتقد أن علي أن أرحل ولكن قبل كل شيء هل –

سألتها "سكاي" :

– ماذا تحتاجين إليه ؟

– أتعتقدين أنه بإمكانك .. إعادة النظر بالنسبة إلى الطفل مثلما فعلت مع "جيسون" و"سارة" ؟

اختلست "سكاي" نظرة على الغريب الذي لم يقل شيئا وإن كانت قد رأت لمعان الفضول في عينيه . وعندما رأت تعبير الفزع على وجه صديقتها اتخذت قرارها في الحال :

– بالتأكيد .

ثم استدارت نحو الغريب :

– ما عليك إلا أن تدخل وتجلس وساحضر إليك . لفت ذراعها حول كتف "لين" وسارت معها بضع خطوات إلى نهاية الممر ووقفت تحت شجرة بلوط ضخمة ثم ركعت أمام "لين" وتحسست بطنها المنتفخ وأغلقت عينيها وركزت على الجنين ثم همست صلاة مقتضبة من أجل صحة الطفل وعندما انتهت أحست بالطفل يركل بطن أمه من الداخل . قالت "لين" :

– لقد تحرك .. أعرف أن كل شيء سيكون على ما يرام الآن . شكرا لك يا "سكاي" .

تعانقت المرأتان ثم بدأت "لين" رحلتها ونادت عليها "سكاي" أن تكون حذرة بعدها استدارت واتجهت عائدة إلى الكبينة .

كان الرجل واقفا على العتبة يراقب كل حركاتها . احمر وجه "سكاي" عندما سارت نحوه . كان قد رآها وهي تحدث الجنين وكانت واثقة بأنه لم يفهم ما تفعله والقلائل فقط هم الذين يفهمون ما لم يكونوا قد شبوا على مثل هذه التقاليد . لقد كانت العادات فوق الجبل تعود إلى زمن بعيد وبعضها تعود إلى الرواد الأوائل من العائلات التي استوطنت هذا المكان منذ أكثر من قرن وبعضها مأخوذ من الهنود الذين رحلوا إلى جانب الجبل من مئات السنين .

وهي واحدة من سلسلة من القابلات وأطباء الأعشاب تنحدر من هؤلاء المستوطنين الأوائل والتي انتشرت وسط معظم تقاليد البلاد، وكانت أحيانا ما تراودها الشكوك حول تلك التقاليد ، ولم تكن تعرف إن كانت كلماتها ستساعد على نمو جنين "لين" وتجعله قويا وصحيحا أم لا . ولكنها كانت تعرف أن حدود عقل "لين" سيتقبل ذلك بنفس أهمية الدواء وأنها تعتقد بقوة في يدي صديقتها الساحرتين .

صعدت الدرجات الخشبية إلى بابها الأمامي ثم تريثت ونظرت إلى الرجل الذي لم يتحرك أمامها.

لقد ظنت أن عينيه بدوتا باردتين قبل ذلك ولكن الآن هناك فيهما شيء يشبه النيران وليس الثلج ،أحست بقلبها ينبض بشدة عندما سارت وتجاوزته ثم فتحت باب كبينتها وسألها :

– هل أنت الكاهنة المقيمة أم الطبيبة الساحرة ؟

كانت الكلمات لزجة وعلى الرغم من أنه كان لديها بعض شكوكها واستفسارتها حول تقاليد الجبل أتت من كثرة اطلاعها وثقافتها وقضاء سنتين في الكلية فإنها لم تكن تحب أن يقوم الغرباء بالتهكم على العادات والتقاليد .

أحست في أعماقها بقيمة العلاجات بالأعشاب وأن جدتها منحتها نوعين من البركة عندما علمتها كيف تصلي من أجل الجنين . نظرت للغريب وقد تصلب ظهرها :

– لقد طلبت منك أن تدخل ولم أرغب في أن تراقبني .

– إن مشاهدتك ... مثيرة للاهتمام .

عضت "سكاي" شفتها في ضيق . لقد جعلها تبدو وكأنها نوع من الأميبا الغريبة التي تراقبها تحت الميكروسكوب.

قالت له بصوت متوتر :

– هيا ادخل واجلس .. ماذا ما تريد أن تحدثني عنه ؟

– لماذا هربت مني هذا الصباح ؟

– إنني لم أهرب !

رفع حاجبيه بسرعة في دهشة مبالغ فيها :

– لم تفعلي ؟ ماذا يمكن أن تسمي ذلك إذن .. ؟ هزت كتفيها بلا اكتراث . لا فائدة من الدخول في جدال لا فائدة من ورائه حول كلماته فلتدعه يقود المحادثة . لقد كان هو الغريب والذي عليه هو أن يشرح سبب وجوده . نظر إليها لحظة بعينين ضيقتين ثم غير الموضوع فجأة :

– هل تعرفين من أنا ؟

هزت رأسها نفيا .

– أنا "كول دنتون" .

تصلبت .

كما هو مكتوب في منتجع "دنتون" ؟ أومأ موافقا :

– هذا صحيح وأنا هنا لأن المدير السابق لم يستطع أن يسيطر على الأمور ، إننا في حاجة لتعاون القرويين حتى تتمكن شركة "دنتون" من بناء وتطوير عمل ممتاز هنا ، وهذا يعني أن التخريب يجب أن يتوقف .

– تخريب ؟

– نعم ، ولا تتصنعي السذاجة . لقد أخبرني "جو" أنك متورطة في تخريب معدات "دنتون" وطبقا لأقواله فأنت تعدين زعيمة .

يا لجرأة هذا البيان !

كتمت "سكاي" ردا جادا وأخذت تنظر عبر النافذة إلى الأشجار ،فجأة استطاعت أن تسمع صوت جدتها وكأنها موجودة في الحجرة ، إن الطبيعة تشفي كل الأمراض التي صنعها الإنسان . لقد تعودت أن تقول لـ"سكاي"

ذلك كلما وقعت في متاعب مع أصدقائها . أخذت "سكاي" تراقب حركة قمم الأشجار الرقيقة والأنيقة وسط الرياح ثم استدارت نحو الرجل .

– ولكن لا دخل لي بأي شيء يخرب معداتك بل إنني لم أعرف بذلك ماعدا بعض الإشاعات .

– ألم تفعلي ذلك الآن ؟

كانت وقاحته جعلتها ترغب في أن تحرجه :

– لا .. ولكن سأخبرك بأمر يا سيد "دنتون" : لا يوجد أحد فوق هذا الجبل يحب ما يفعله منتجع "دنتون" بأرضنا وحياتنا . لقد نشأنا هنا من أجيال طويلة ومعظمنا لا يحب كل التغييرات التي حدثت . أحضرت الشركة معداتها لتبدأ بناء منتجعها .

تنهد "كول" وهز رأسه وكأنه سمع هذا الجدال من قبل:

– لا يوجد أحد يريد التغيير يا "سكاي" ولكن العالم يتغير ، وهذا المكان من المؤكد أن يكتشف يوما ما ، و"دنتون" على الأقل سيحاول الإبقاء على الأرض بحالتها الطبيعية فلو جاءت شركة تعدين مثلا إلى هنا فإنها لن تفعل ما ننوي أن نفعله .

– هذا مجرد عذر . سيفعلها شخص آخر على أية حال ولذلك قد يكون أنت الذي تحقق ثروات طائلة من تخريب أرض الناس البريئة .

– اللعنة ! إن الأمر ليس كذلك على الإطلاق .

كان "كول" واقفا بالقرب منها جدا وقبل أن تستطيع أن تمنع نفسها فقد خطت للخلف . لقد انبعثت منه قوة بدائية أشعرتها بعدم الارتياح وهو شعور لم تعتده "سكاي" . استدارت مبتعدة لتخفي عدم شعورها بالارتياح وبدأت ترتب قطعها اليدوية الفنية وهي تجبر نفسها على الهدوء ولكن حركات يديها كانت مرتجفة وتعشمت ألا يلاحظ ذلك سألها :

– أتعيشين هنا بمفردك ؟

ترددت وهي تتمنى فجأة لو استطاعت الإنكار لو كان جداها فقط على قيد الحياة لأتيا عبر الباب في أية دقيقة ولما أحست بالعصبية بداخلها . ولكن ما كل ما يتمناه المرء يدركه .

قالت أخيرا:

– نعم .. لقد عشت بمفردي حوالي سنتين .

– ألست خائفة ؟

– من أي شيء ؟

– من .. لست أدري ، الجريمة من رجال لا يتمالكون أنفسهم من حيث أتيت فإن الفتيات لا يعشن غالبا بمفردهن .

ضحكت :

– إنني لست فتاة صغيرة فأنا في الثانية والعشرين ، ولا تقع جرائم كثيرة حولنا .

– هل أنت في الثانية والعشرين ؟ إنني لا يمكن أن أصدق ذلك ، إنك تبدين في السادسة عشرة .. ربما ليس ستة عشرة وإنما أنت أصغر .

احمر وجهها ثم ساد وجهها موجة من الغضب . من هذا الرجل الذي أتى إلى بيتها وجعلها تشعر بعدم الارتياح ؟ وعلى الرغم من أنه كان رقيقا أكثر من معظم عمال "دنتون" إلا أنه كان لا يزال ينظر إليها وكأنها ليست سوى جسد مغر . وإن وصفه لها بأنها صغيرة إنما كان نوعاً من التعالي .

– إن السن لا تدل على الحكمة يا سيد "دنتون" .

– يمكنك أن تنادوني "كول" ثم إنني لست عجوزا أيضا .

نظرت إليه ولاحظت آثار الشعر الأبيض ولكنه لم يكن يبدو عجوزا على الرغم من ذلك .

لقد كان مفعما بالنشاط وقد برزت عضلاته تحت قميصه .

إن بعض الرجال فوق الجبل يبدون منهكين وأكبر من سنهم وقد هدتهم الحياة والعمل الشاق الذي بالكاد يكفي لإطعام عائلاتهم .

بدا واضحا أن هذا الرجل لم يمر بهذه المحنة . دهشت من أفكارها بينما بدا الفضول في عينيه وهو يقول :

– ربما أنا عجوز أكثر مما أحس .

– بالتأكيد لست عجوزا يا "كول" ولكن هناك أموراً قليلة لابد أن تعلمها عن "كروكد فورك" .

ابتسم لأنها نادته باسمه الأول ولكن الابتسامة اختفت عندما سمع بقية كلامها ، قال :

– مثل ماذا ؟

– إننا نحب حياتنا هنا ولانحب أحدا أن يغيرها . إذا بقيت وواصلت المحاولة فإنك ستظل في متاعب .

فرد كتفيه قليلا وفرد معهما قميصه :

– هل هذا تهديد ؟

هزت كتفيها بلا اهتمام .

– ليس مني أيا كان ظنك فإنني لم أفعل شيئا لمعدات "دنتون" ولكني لن أتحدث نيابة عن جيراني وكل فرد غير سعيد لما تسير عليه الأمور .

– كلكم أيها الناس متشابهون ، لا تريدون أن تتغير حياتكم ثم تتساءلون لماذا نحن قذرون فقراء بعيدون عن القرن العشرين .

– كلنا متشابهون ! هذا هو الظاهر . أنت أكثر جهلا ومتحيزا من أي طفل في المستوطنة ولا أعتقد أنه يوجد أي شيء آخر نناقشه .

فتحت الباب .. أخذ نفسا عميقا وبحدة من الطريقة التي أشارت بها إليه ولكنها لاحظت أنه لم يعد متكبرا .

– اسمعي يا سيدتي ! أخبري أهلك أن التخريب جريمة وإننا لن نتحمل أكثر من ذلك .

– سأذكرهم بذلك !

– من الأفضل أن تأخذي كلامي مأخذ الجد ومن الأفضل أن تفعلي أكثر من ذكر الأمر لهم .

لم ترد وبعد أن حدق إليها في غضب وتبرم خرج من الكبينة ومنها إلى نهاية الممر .

الفصل الثاني

– تعالي بسرعة يا "سكاي" !

عندما سمعت "سكاي" صوت الطفل الصغير المرتجف الخائف استدارت عند مائدة التسليم في محلات "صن شاين" العامة وصاحت :

– ماذا هناك يا "سام" ؟

كان صوت الصبي مخنوقا من الدموع وهو يدعك عينيه بيده الملوثة :

– لقد كنت أنا و"ريكي" نلعب فوق الموقع وسقط "ريكي" وقد تناثرت الدماء حوله .

ألقت بالربطة التي كانت تحملها فوق مائدة التسليم وجرت وراء الطفل.

– أرني أين هو .

بعد عدة دقائق كانا في موقع آخر لمشروعات شركة منتجعات "دنتون" . كان "سام" يسلك طريقه خلال الأشجار المتشابكة في الطرف البعيد من الموقع حيث انكسر السياج الواقي .

هناك فوق كومة من الزجاج وشرائح الصلب استلقى الصغير "ريكي زيل" ابن أخ "توم زيل" . كان ساكنا وشاحبا وكان جرح غائر في ساقه تندفع الدماء منه ، بدأ "سام" يولول عندما رأى صديقه بلا حول له ولا قوة . جثت "سكاي" أمامه وأمسكت بكتفه في حزم وهزته .

– اسمعني يا "سام" لابد أن تفعل أمرا يدل على أنك كبير وناضج .

اتسعت عينا الطفل وكف عن النواح . أشارت إلى مجموعة من الرجال على مسافة بعيدة يرتدون خوذات برتقالية اللون :

– أريد منك أن تجري إلى حيث يوجد هؤلاء الرجال أخبرهم أن يحضروا شاحنة إلى هنا لمساعدة "ريكي" وعليك أن تركب معهم لتريهم أين نحن.

– ولكني . ولكن لا أعرفهم .

زفرت "سكاي" في تبرم . لقد كانت القرية التي كانوا يطلقون عليها اسم مستعمرة صغيرة جدا ومعظم أطفالها يشعرون بالخجل من الغرباء .

– أعرف أنك لا تعرفهم ولكنك تريد مساعدة "ريكي" أليس كذلك؟ لابد أن تكون شجاعا .

ابتلع "سام" ريقه ثم أومأ موافقا . دفعته بخفة ليجري نحو الرجال .

– هيا اذهب وكن حريصا .

بعد ذلك مباشرة حولت انتباهها نحو الصغير "ريكي" الذي لم يتحرك بعد . كان الجرح في ساقه هو أهم مشكلة عاجلة وأخذت تبحث داخل حقيبتها القماش بحثا عما يصلح لوقف نزيف الدم. ولكن لم تجد شيئا

مناسبا في الحال نزعت شريطين طويلين من القماش من طرف ثوبها السفلي حيث لفت أحدهما بقوة حول الجرح وهي تتأكد من التحام طرفي الجرح واستخدمت الثاني لتثبت الشريط الأول في مكانه استخدمت الضغط الشديد على الجرح وأخذت تتحسس عظام ساق الطفل باليد الأخرى بدا أنه لم ينكسر شيء وقررت أنه ربما أغمى عليه من الألم ومنظر الدم تحركت بحرص وأخرجته من كومة الشرائح الزجاج ووضعته فوق النجيل القريب . خلعت سترتها الخارجية وغطته بها كي تبقيه دافئا .

سمعت "سكاي" صوت "الـ"بيك آب" الهادر خلفها فوقفت في ارتياح . قفز الرجل الذي كان يقود السيارة إلى الأرض وهو ينظر إليها في استمتاع:

– ماذا يمكنني أن أفعله لك يا سيدتي الجميلة .

اتسعت عيناه وهو يصعدها بعينيه وأدركت "سكاي" أن اهتمامها بحالة "ريكي" تركتها بأقل قدر من الملابس كانت مرتدية "تي شيرت" قديماً وجونلة قصيرة قطعت منها الأربطة ولكن ذلك لا يهمها الآن وإنما المهم "ريكي" .كان صوتها حادا وعمليا مما أخرج الرجل من إعجابه بملابسها الكاشفة :

– هذا الطفل جرح جرحا خطيرا ولابد من نقله إلى المستشفى . نظر إلى الطفل الشاحب ثم نظر إليها مرة ثانية وبدا الاعتذار الخفيف في صوته :

– بالتأكيد سأساعدك ماذا يجب عليّ أن أفعل ؟ نحن بحاجة إلى رفعه على الشاحنة بعناية فائقة إنني لا أريد تحريكه أكثر من اللازم فقد يكون هناك شيء مكسور . دسا أيديهما تحت الطفل وكان الرجل ذو الوجه المليء بالندوب قد وضع يديه تحت كتفي "ريكي" في حين وضعت هي يديها تحت ساقه المجروحة ، تحركا ببطء ووضعا الطفل على المقعد الامامي للسيارة .جرى "سام" بجوارهم وهو يصيح :

– هل يمكن أن أذهب معكم ؟

استدارت نحوه عندما استقر "ريكي" في أمان في الشاحنة .

– لا يا "سام" لا تستطيع إنني أحتاجك في مهمة أخرى

انتفخ صدر الطفل .

– بالتأكيد .. ماذا تريدين مني أن أفعل ؟

– هل تعرف أين أم "ريكي" ؟

تجهم الطفل وهو يحاول أن يتذكر .

– أعتقد أنها تزور أمي في المنزل .

جثت بجواره وأمسكت بكتفيه :

– حسنا يا حبيبي أريد منك أن تعود إلى المستوطنة بأسرع ما يمكنك ، وأن تخبر أم "ريكي" بما حدث ، وقل لها إنه سيكون بخير وخبرها أننا أخذناه إلى المستشفى في "هاي ميزا" .

جعلته يكرر اسم المستشفى وراقبته وهو يجري بكل سرعته وقد انتفخت أوداجه من أهميته . سألها الرجل ذو الندوب وقد استقرت عيناه على جسدها ثانية :

– أليس عندكم تليفونات أيها الناس ؟

قالت تشرح وهي تشعر بالخجل لفحصه لها :

– لا .. إنها تكلف كثيرا لمد الخطوط في الهواء ومعظم الناس لا يتحملون ذلك والآن هل يمكن –

– ما الذي يحدث هنا ؟

استدارت عندما سمعت الصوت . كان "كول دنتون" واقفا وقد وضع يديه على جانبيه وقد ارتدى خوذة وملابس العمل ، ورأت عيناه تمران على جسدها بسرعة قبل أن ينظر متسائلا للرجل ذي الندوب الذي أجاب :

– لست أدري يا سيد "دنتون" لقد حدث أمر ما من .. قاطعته وهي تشير نحو الطفل الذي لا يزال غائبا عن الوعي فوق مقعد الشاحنة الأمامي :

– لقد جرح "ريكي" نفسه فوق كومة الزجاج والشرائح الجميلة وسننقله إلى المستشفى في "هاي ميزا" .

ألم بالموقف في الحال وقد انتقلت عيناه ما بين الطفل المصاب وكومة الشرائح والزجاج إلى وجه الرجل ذي الندوب وقال في الحال .

– سأقود السيارة إلى هناك ويمكنك أن تعود إلى العمل يا "سترتش" وشكرا على معونتك .

– ولكني ...

– ساعتني بالأمر .

أومأ الرجل وبدأ يعود نحو العمال الآخرين . قال "كول" فجأة وهو يدور حول السيارة إلى مقعد القيادة :

– هيا اركبي وثبتي الطفل .

غضبت من لهجته ولكنها قدرت اهتمامه بـ"ريكي" فصعدت في تردد إلى المقعد المجاور للسائق ومالت على الأرض وقد قوست ذراعيها لتحمي جسد الطفل الساكن كانت المسافة إلى المستشفى هادئة . كانت "هاي ميزا" على بعد عشرين ميلا معظمها طرقا جبلية ولكن قيادة "كول" الماهرة والسريعة أوصلتهم إلى هناك بسرعة . عندما توجهوا إلى حجرة الطوارئ بدأ "ريكي" يتأوه في هدوء . خففت "سكاي" من ضغطها على ساقه المصابة وسلمته إلى الممرضات اللاتي ارتدين الملابس ناصعة البياض داخل المستشفى .

قال "كول" عندما جلسا مرهقين فوق مقعدين في حجرة ملحقة للانتظار :

– يبدو أنك أديت مهمة رائعة بعنايتك بهذا الطفل .

– لم يكن من الواجب أن يصاب أصلا فإن هذه المنشآت غير آمنة .

تجهم "كول" :

– كيف دخلا على أية حال ؟

– لقد تحطم السياج وربما حطمه الأطفال بأنفسهم وحتى لو كان الأمر كذلك فقد كان من مسؤولية شركة "دنتون" التأكد من أن يظل السور سليما . أنت تعلم ماذا يفعل الأطفال إنهم ينجذبون إلى أي نوع من الإنشاءات ويحاولون الدخول إليها .

أومأ موافقا :

– عندك حق فقد كان من الواجب علينا أن نبقي السور في حالة أكثر أمانا ولو كنت مسؤولا من البداية لما حدث ما حدث .

قالت بصوت تعمدت أن يكون متهكما :

– إنك حقا مهتم برفاهية أهل المدينة .

ضم قبضتيه في غضب :

– اللعنة .. أنا مهتم بهم فعلا .. إن شركة منتجعات "دنتون" مشهورة باهتمامها بالمقيمين في الأراضي التي تطورها ونحن نحاول أن نستأجر المحليين ونحافظ على البيئة وسلامتها وعلى شكلها الإنساني قدر المستطاع، ولهذا فإن الأمور التي تشبه ما حدث تجعلني أتميز غيظاً . إن ما حدث هو عدم كفاءة من المهرج الذي حاول إدارة الأمور من قبلي .

هزت "سكاي" كتفيها بلا اكتراث وأسقطت الموضوع من بالها وذهبت إلى مكتب الاستقبال لتعرف إن كان هناك أنباء عن "ريكي" وعادت الممرضة المسؤولة إلى حجرة العلاج لتعرف أخباره .

عندما عادت "سكاي" إلى "كول" كان ينظر إلى ملابسها بطريقة جعلها تحمر خجلا وعندما جلست بجواره أخذت مجلة وتظاهرت بأنه غير موجود أو حاولت أن تتظاهر .

سلك حلقه :

– آه .. هذا الطاقم من الملابس .

تصفحت بضع صفحات في المجلة قبل أن ترفع نظرها إليه وانتظرت منه أن يستمر في الكلام . استطاعت خلال هذه الفترة الوجيزة أن تتحكم في حرجها لأقصى حد . قال لها بلهجة أدهشتها أنها دلت على أنه محرج .

– إن هذا الطقم مختلف عن الثياب التي تعودت رؤيتها عليك .

– ماذا تعني ؟

– إنها .. إنها أكثر .

– أكثر ماذا ؟

– اللعنة .. أكثر أنوثة . إنه يكشف عن الكثير وأنا لا أشكو ذلك ولكن يجب أن تكوني حريصة عند ارتداء مثل هذه الملابس بالقرب من الموقع. إن بعض الرجال الذين يعملون عندي يمكن أن يكونوا أكثر خشونة وإذا ما اقتربت من هؤلاء الرجال مرتدية مثل هذه الملابس فإنك بذلك تجلبين على نفسك المتاعب .

وضعت المجلة فوق المائدة بحدة :

– لم أكن أرتدي هكذا عندما خرجت هذا الصباح .

لقد اضطررت لاستخدام طرف الجيب لأنه الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أضمد به جرح "ريكي" كما غطيته بالسترة ، وصدقني إنني لم أكن أريد أن أقترب من رجالك وأثير انتباههم فإن الطريقة التي يحدقون بها إلي ببلاهة تجعلني أحس بالغثيان .

– إنهم بشر يا "سكاي" وأحيانا ما يكون العمل الذي يؤدونه يسير على وتيرة واحدة مملة ثم تظهر فجأة حسناء مثلك فيعتبر ذلك أهم حدث مثير في يومهم . التقطت المجلة مرة ثانية وتظاهرت بعدم المبالاة لما يقوله . تساءلت : إذن هو يظن أنها جميلة إنها لم تحب الطريقة المسيطرة للرجل أحيانا وكرهت ما يقوم به فلماذا إذن كانت فكرة أنه معجب بها من الطريقة التي تبدو عليها جعلتها تشعر بنوع من الدفء؟ جاءت الممرضة نحوهما وقالت :

– سيكون "ريكي" بخير ولكن لابد من عمل بعض الغرز وهو الآن تحت التخدير ويحتاج للبقاء هنا عدة ساعات بعدها يمكن أن تأخذاه للبيت .

انطلق صوت عال وخائف وسط سكون حجرة الانتظار عندما جرت أم "ريكي" نحوها يتبعها "توم زيل" بسرعة :

– ماذا يجري يا "سكاي" ؟ أين ابني "ريكي" ؟

قالت "سكاي" وهي تنهض لتضع ذراعها حول كتف المرأة :

– هو بخير وسيصبح على ما يرام .

فحصت بسرعة ما حدث وما قالته الممرضة لتوها ولكن المرأة القلقة لم تكن لتستريح ما لم ترا ابنها ،لذا أخذتها "سكاي" إلى الممرضة التي قادتها ثانية نحو حجرة العلاج وعندما عادت رأت عينا "توم زيل" وكلها إعجاب مما جعلها تحمر خجلا . اللعنة على طاقم ملابسها . نظرت إلى "كول" ورأت أنه لاحظ ما رأته من رد فعل الرجل . سألت "توم" وهي تحاول تجاهل الطريقة التي استقرت بها عيناه على الـ"تي شيرت" الضيق المفتوح الصدر :

– هل أحضرت "واندا" هنا ؟

– لقد كنت في البيت عندما جاء "سام" يصرخ ويهول حول ما حدث لـ"ريكي" انهارت "واندا" تماما لذا أحضرتها معي إلى هنا ولكن كيف

أتيت و"ريكي" إلى هنا ؟

استدارت بعصبية غريبة نحو "كول" وقدمت الرجلان كل منهما للآخر . في الحال نشأت عداوة مستترة بينهما .

لقد كان "توم" يعتبر نفسه دائما حامي "سكاي" منذ كانا صغيرين معا وكان يلمح في العام الماضي إلى أن مشاعره قد ازدادت عمقا والآن رأى في الرجل الأكبر منه سنا منافسا وعذولا له .

قال توم وهو يشير نحوها :

– أستطيع أن أعيدك للبيت يا "سكاي" . هل ترغبين في البقاء هنا طوال فترة ما بعد الظهر ؟

قال "كول" بنعومة :

– سأصحبها للبيت وعليك أن تنتظر "ريكي" وأمه بالتأكيد نظر "توم" للرجل الأكبر منه محدقا ثم استدار نحو "سكاي" :

– هل يمكن أن أتحدث معك دقيقة على انفراد ؟

– بالتأكيد !

كتمت زفرة وأمسك بذراعها وقادها مسافة قصيرة إلى نهاية دهليز المستشفى حيث أصبحا بعيدين عن سمع "كول" وإن ظلا على مرأى منه وأحست أنه يراقبهما بطرف عينيه . قال "توم" :

– من الأفضل أن تتنبهي لهذا الشخص إنه وراء شيء ما يهمك. توترت شفتيها :

– هذا مجرد هراء ! إنه قلق فقط لأن حادثا وقع في موقعه لطفل صغير وأي شخص سيفعل ما فعله .

هز "توم" رأسه .

– أنت لا تعرفين شيئا من العالم يا حبيبتي وأستطيع أن أخبرك من الطريقة التي ينظر بها إليك إنه يعد مشاكل لك في عقله .

– لست طفلة وأستطيع أن أعتني بنفسي .

قال بلهجة حاول بها التخفيف من تأثيرها وإن زادتها غضبا :

– بالتأكيد تستطيعين ولكن يا حلوتي لا أريد منك أن تعتني بنفسك وكنت أود أن أحدثك عن ذلك عندما وضع يديه على كتفيها واقترب

منها تراجعت للخلف وهي تشعر بعدم الارتياح . إنها لا تريد أن تسمع "توم" يتوسل إليها ولا تريد من "كول" أن يرى المشهد كله وقالت :

– هذا ليس بالمكان ولا الوقت المناسبين .

نظر إليها فترة ثم أومأ برأسه :

– حسنا لن نتحدث في ذلك الآن ولكن لنلتق في الأسبوع القادم لنتفق .. موافقة ؟

ترددت . كانت في الماضي تحاول أن تحافظ على أن تكون مواعيد لقائها مع "توم" أقل المستطاع لأنها لم تكن تريد منه أن يأخذ الأمور معها مأخذ الجد ولكنهما كانا يعرفان بعضهما من وقت طويل حتى إنها لم ترغب في إهانته بأن تعامله ببرود .

لقد تعلمت من جدتها أن هناك عدة أنواع من الحب يكنها المرء للآخر وعلى الرغم من أنها لم تكن تحب "توم" عاطفيا فإنها كانت تقدر صداقتهما الطويلة وعلى الرغم من أنه لم يكن لها أخ فقد تصورت أنها تحس نحو "توم" بما تحسه الأخت لأخيها .

قالت :

– بالتأكيد يا "توم" .. سيكون ذلك لطيفا .. لماذا لا تحضر لتناول العشاء يوم السبت ؟

– رائع !

جذبها بين ذراعيه وقبلها قبلة سريعة وقوية ثم هرول إلى البهو وتجاوز منطقة الانتظار وتوجه إلى الحجرة التي كانت بها "ريكي" وأخته .

دارت حدقتا عينيها وصاحت يا للرجال !

لقد سبق أن قبلها "توم" مرات قلائل من قبل ولم تعتبر شعورها وقتها غير سار ولكن لم يسبق أبدا أن قبلها "توم" على مرأى من الناس ، وعرفت أنه فعل ذلك كطريقة ليظهر حقه عليها أمام "كول" . أدركت وهي عائدة إلى حجرة الانتظار أنه إذا كان يبغي مضايقة "كول" فقد نجح في ذلك . كانتا عينا "كول" مشتعلتين وهو ينظر إليها !

– هل هذا عراك المحبين ؟

قالت :

– لا تهتم .. هيا بنا .

نهض وناولها السترة التي استخدمتها لتغطية "ريكي" وقال وهو ينظر تجاه "توم" :

– لقد أحضرتها الممرضة وربما رغبت في لبسها . إن هذا الطاقم الذي ترتديه يبدو أنه يثير أفكار الجميع . ارتدت السترة بسرعة وهي تحدق إليه . قطعا المسافة للعودة في صمت وكل منهما غارق في أفكاره ،لم تكن "سكاي" واثقة بأفكارها عن ذلك الرجل .

لقد كان عدوها بمعنى أنه يمثل منتجعات "دنتون" والغرباء الذين يغزون بآلائهم هذا المجتمع المسالم . وهو يعاملها وكأنها مسؤولة عن المشاكل التي يواجهها ومع ذلك كانت عيناه الرماديتان وجسمه القوي تثيرها ووجدت نفسها تختلس أكثر من نظرة إليه وهو يقود السيارة . سألها عندما دخلا القرية :

– أين تريدين الذهاب ؟

– محلات "صن شاين" العمومية فقد تركت بعض الربطات هناك عندما ذهبت لأساعد "ريكي" هذا الصباح .

– وهل ستظلين هناك ؟

أجابت في دهشة :

– بالتأكيد . لم لا أكون هناك ؟

ضحك :

– أعتقد أنه لا يوجد سبب . إنكم لا تتعرضون للسرقة هنا في "كروكد فورك" أليس كذلك ؟

قالت وهما يدخلان ساحة الانتظار المغطاة بالحصى أمام المحلات :

– ليس كثيرا .

نزل معها من السيارة وهو يشرح لها أن عليه أن يحضر مواد وتموينا خلال الأيام القليلة القادمة . طرفت "سكاي" بعينيها وسط ضوء المحل الخافت ولوت عنقها لترى صاحب المحل الذي قال بصوت مرتجف :

– "سكاي" أيتها السيدة الصغيرة . كيف حالك ؟

قالت عندما استطاعت أخيرا أن تحدد مكان الرجل العجوز .

– هاي "بوب جونز" كيف حال روماتيزمك اليوم ؟

– ليس بخير على الإطلاق . أظن أن عاصفة سيئة ستهب الليلة فإن الهواء رطب .

– هل استخدمت المرهم الذي أعطيته لك ؟

أزال "بوب" قطعة من القذارة عن عصاه وقال :

– لا لم أفعل . لقد فرغ منذ أسبوعين .

سألته في صوت تانيب :

– لماذا لم تقل لي ؟ ساحضر لك بعضه غدا .

– لا تفعلي ذلك يا سيدتي الصغيرة فانت تعرفين أنني لا أستطيع أن أدفع ثمنه هذه الأيام .

استدار واختفى داخل حجرة المخزن قبل أن ترد عليه ، هزت "سكاي" رأسها في تبرم . إنها تستطيع أن تكتفي بلوحاتها وعائد المدخرات التي تركها لها جداها ،وهي ليست في حاجة لشخص مثل "بوب" يساعدها والذي كان صديقها منذ سنوات وأن يتحمل الألم لأنه لا يستطيع أن يرد لها ثمن العلاج . قررت في تصميم أن تحضر له المرهم في الغد . فزعت عندما سمعت صوت "كول" بجوارها .

– هل أنت مستعدة للرحيل ؟

لابد أنه سمع كل المحادثة ولابد أنه يضحك في داخله على الطبيبة الساحرة مرة أخرى. استدارت نحوه .

– لست في حاجة لانتظاري . أستطيع أن أعود لبيتي بمفردي . قال بصوت حازم وهو ينظر إلى مجموعة التموين :

– أريد أن أنقلك بالسيارة للبيت .

عندما وجهته خلال طريق الجبل غير الممهد الذي يؤدي إلى بيتها نظر إليها "كول" في فضول وسألها :

– أنت حقا طبيبة للقرية وأهل المستوطنة أليس كذلك ؟

قالت وهي تخشى أن يسخر منها مرة ثانية :

– إلى حد ما .

– ولكنك صغيرة .. من أين حصلت على تدريبك ؟

www.elromancia.com

نظرت إليه باستغراب وقالت :

– من مكان لا يحترمه أهل المدينة كثيرا . لقد كبرت هنا فوق الجبال مع جدّي .

لقد كانت جدتي القابلة لهذا المجتمع والمعالجة سنوات طويلة تماما مثل أمها قبلها وعندما تعيش في مستوطنة صغيرة فإن الأمر لا يستلزم درجات علمية في الطب خصوصا وأن أقرب مدينة تبعد ستين ميلا . إن النساء في عائلتنا أظهرن دائما موهبة في الطب والناس يحترمون ذلك . نظر إليها "كول" وهو يقود السيارة وقال :

– هيا استمري .

– لقد صحبتني جدتي إلى جميع الزيارات للمرضى في البداية لأنه لم يكن لديها جليسة أطفال لي وبعد ذلك لأنني بدأت أهتم بعملها .

لقد أرتني كيف أجمع الأعشاب وأعد المشروبات والمراهم وغيرها .

– هل علمتك كيف تعنين بجرح طوله عدة سنتيمترات يدمي مثل جرح "ريكي" ؟

أومأت موافقة :

– كانت جدتي تعرف الكثير عن الإسعافات الأولية وظلت سنوات طويلة الطبيبة الوحيدة الموجودة في هذه البقاع ، والآن بالتأكيد يوجد المستشفى في "هاي ميزا" وعيادة في القرية حيث يأتي إليها الطبيب مرة في الأسبوع وبالتالي فإن للناس حرية الاختيار .

– ولكنهم لا يزالون يأتون إليك أولا .

– الكثيرون منهم يفعلون . إنهم ليسوا معتادين المستشفى أو الأطباء خصوصا كبار السن وهم يحسون بالراحة أكثر من شخص يعرفونه .

توقفت وهي تحدق من النافذة إلى أشجار البلوط المتشابكة والتي تحد الطريق . سألها :

– وكيف تحسين . وأنت ممرضة أو أيا ما تسمين به نفسك ؟

قالت :

– إنني لا أحس بالراحة نحو ذلك إذا أردت الحقيقة .

لقد التحقت بالكلية في "دينفر" مدة سنتين مما جعلني أدرك كم علي

أن أتعلم من علوم الطب الحديثة وأن معظم الناس لن يشفوا بعلاجهم بواسطة واحدة تلقت هذا القدر الضئيل من التعليم .

سألها وهو يناور بالشاحنة في الطريق كثير المنحنيات :

– لماذا تركت الكلية بعد سنتين فقط ؟

قالت شارحة :

– لقد مرضت جدتي واحتاجت لمن يعنى بأمرها الناس في المنطقة يحتاجون لشخص يلجأون إليه في حالة المرض والولادة وما شابه ذلك .

دخل الطريق الترابي الضيق الذي يؤدي إلى كبينتها ووقف :

– لذا وجدت نفسك حبيسة في دور طبيبة المجتمع دون إرادتك ؟

أومأت موافقة :

– إنني أحاول أن أقنع الناس باستخدام المستشفى والعيادة عندما يحسون بمرض خطير . إنني لا أريد منهم أن يعتمدوا عليّ بصفة مطلقة مثلما كانوا يفعلون مع جدتي . ومنذ وفاتها قبل أن تعلمني كل ما تعرفه فإنني تقريبا غير مؤهلة مثلها .

أومأ برأسه وهو يفكر ولا يزال جالسا خلف عجلة القيادة . عندما أدركت أنها تتحدث إليه وكأنه صديق قديم لها احمر وجهها خجلا . إنها لا تعرفه جيدا ولكنه بدا متفاهما وسألها كل الأسئلة . إن لها القليل من الناس ممن تتحدث معهم وكانت طيبة معهم وهي تنصت إلى مشاكلهم .

سألته في تردد :

– أتحب أن تدخل ونتناول قدح قهوة قبل أن تعود ؟ لو كان من أهل الناحية لما ترددت في دعوته ولقبل دعوتها بطريقة آلية .

لقد كان أول ما يتعلمه فتيات المنطقة هو أن يكن مضيافات . ولكن الرجل الضخم الجالس بجوارها في السيارة من حضارة أخرى ، لذا أحست ببعض الشك وهي تدعوه بالطريقة التقليدية . كشفت عيناه عن شيء يشبه الدهشة وهو ينظر إليها :

– سيكون هذا رائعا !

جلس إلى مائدة الطعام بينما أخذت تتجول داخل المطبخ وعندما وضعت إناء من الخبز والزبد والمربى ابتسم مقدرا وقال :

– إن هذا الطعام يبدو مصنوعا بالبيت .

– نعم .

وضعت قدحا من القهوة يتصاعد منه البخار وجلست .

– إنه لذيذ . إنه تركيبة خاصة .

أخذا يمضغان الطعام فترة طويلة في صمت وقد تسللت أشعة الشمس خلال النافذة مما ذكر "سكاي" أن الوقت وسط ما بعد الظهر وأنها لم تتناول الغداء ، ولهذا أحست بالجوع الشديد وعندما نظرت للطريقة التي كان يلتهم بها "كول" الخبز أحست بأنه جائع مثلها . أخيرا بدا أنه راض فاسترخى في جلسته وبدا في عينيه شيء جعل أنفاسها تنحبس . وضع يده فوق يدها فوق المائدة وقال :

– شكرا لك لأنك غذيتني . لم تستطع أن تبعد عينيها عن عينيه وقالت:

– العفو .. هذا لا شيء .

بدا الجو بينهما مليئا بالتوقعات وقد تغير جو الصحبة الذي ساد بينهما قليلا . كان لا يزال ينظر إليها وفي عينيه معان عميقة وخشيت أن يقوم فجأة بتقبيلها وأنها ستسمح له بذلك . نزعت يدها بعيدا عن يده ونهضت بسرعة وقالت بصوت مرتفع غريب :

– من الأفضل أن أرفع الأطباق .

– انتظري !

وقف وسار إلى جانبها ولمست يده وجهها عندما نظرت إليه في تساؤل . مال عليها قليلا ثم توقف وهو ينظر في عينيها وكأنه يستطيع أن يقرأ كل أفكارها وأن يقرأ الإثارة داخلهما . تحركت يده لترفع وجهها ثم قبلها برقة ولطف . فوقف ليرى رد فعلها ثم قبلها مرة أخرى بقوة ، عندما رفع رأسه رأى النار في عينيها . تراجعت وهي تشهق وبدأت تجمع الأطباق في تخبط من فوق المائدة .

لقد كانت الطريقة التي وقف بها يراقبها تصيبها بالتوتر والعصبية . انزلق طبق من بين أصابعها وتبعثر فوق الأرضية .

– اللعنة .. لم يسبق لي أن كنت بهذا الغباء .

– دعيني أساعدك .

جثا على ركبتيه بجوارها وساعدها على جمع الشظايا وجعلها قربه منها تشعر بالدوار . تأوهت عندما جرحتها شريحة من الصيني . رفع يدها لينظر إلى الجرح الصغير :

– هل هو سيئ ؟ دعينا نر !

– إنه بخير ولا يكاد يدمي .

سمع أنفاسها المتقطعة ونظر إلى عينيها مرة أخرى ورأى التوتر . ثبت نظراته على عينيها ورفع يدها ببطء إلى فمه وقبل الجرح الصغير . أحست بالتواء في معدتها وسحبت أنفاسها بصعوبة . لقد قلب هذا الرجل حالها رأسا على عقب وجعلها تحس كما لم تحس من قبل ولم يفهم جسدها أن كلا منهما عدو للآخر . ظل محدقا إلى عينيها وهو يرفع قطع الصيني المكسورة إلى سلة المهملات خلفه . ثم وضع بقية الأطباق على مائدة الأدوات . أحست بأنها مزروعة في مكانها وجثت حيث تبعثرت الشظايا وهي غير قادرة على أن تبعد نظرها عن الرجل الذي أشعل داخلها آلاف المشاعر من خوف وحذر تدور حول عقلها . لم تقف إلا عندما أتى نحوها .

مد يده ليساعدها وعندما وقفت لم يترك يديها ، كانت النيران مشتعلة في عينيه الرماديتين وعرفت أنه سيقبلها مرة أخرى وفجأة أحست بالخوف . تراجع وهو يحاول من تخفيف قبضته . قال بصوت رقيق :

– ما الخطأ يا "سكاي" ؟

كيف لها أن تعبر في كلمات عن خليط الخوف والإثارة الذي جعلها تتراجع ؟ هزت رأسها نحو الأرض الخشنة ، لمس ذقنها محاولا أن يجعلها تنظر إلى عينيه مرة ثانية وبعد لحظات مقاومة نظرت إليه . قال يتوسل :

– أرجوك دعيني أحتضنك .

كانت لهجته متضرعة متواضعة وعلى الرغم من شدة الرغبة في عينيه فإنه لم يتحرك بوصة واحدة نحوها .

لقد كان في انتظار إجابتها :

– أنا .. لست أدري إن كان ...

شدد يديه على يديها وبدت عيناه رقيقتين .

www.elromancia.com

– مجرد دقيقة واحدة !

لم تكن تنوي أن تومئ برأسها موافقة أو تقول "نعم" في همس ولكنها فعلت عندما شعرت بأنه يجذبها بين ذراعيه عرفت أن ذلك ما كانت تريده . قبلها في البداية برقة ثم ازداد عنفا . أحست بأن كلا منهما خلق للآخر . عندما أحس برد فعلها وتجاوبها بدأت أنفاسه تتسارع وأخذت هي ترتجف من هذا الشعور الغريب الذي تحسه في هذه اللحظة ، أخذ يهمس بكلمات حب رقيقة وهي تشهق عندما قال :

– نعم هذا ما أريد أن أفعله .. أن أجعلك تشعرين بالجنون ! أحست بالحرارة وبالحمى وهو يهمس في أذنها كلمات الحب الحميم التي لم يسبق لها أن سمعتها من قبل ، وفجأة أدركت إلى أين سيقودهما ما يفعلان فعاد إليها رشادها وانزعجت أمام ما سمحت به أن يحدث .قالت وهي متقطعة الأنفاس وتحاول دفعه بعيدا :

– لا .. انتظر .

ظل محتضنا لها وهمس :

– أوه يا حبيبتي .. لا توقفيني الآن لأنني أريد أن أجعلك سعيدة .

فجأة أحست بالخوف عندما عرفت ما كان ينوي أن يفعله وكانت تعلم أن رد فعلها شجعه على ما افترضه. التوت بين ذراعيه ودفعته في صدره العريض وأخيرا تركها وهو ينظر إليها في ذهول .

تراجعت للخلف وبداها تسويان شعرها بينما أحست بأنفاسها متقطعة وعرفت أن وجهها تعلوه الحمرة .

– "سكاي" :

– أنا آسفة – لم يكن من الواجب أن أسمح بما حدث لست أدري ماذا حدث لي .

كانت تنظر بعيدا عنه وهي تخشى أن تلتقي عيناها بعينيه .خطا للأمام نحوها وتراجعت وهي حائرة :

– لا تشعري بالحرج يا حلوتي .. أعرف أن الأمر حدث بسرعة ولكن ما تحسينه هو أمر طبيعي وعندما المسك .

– لا .. لا تقولها !

استدارت بعيدا عن الرغبة الواضحة على وجهه وحملقت خلال النافذة وحاولت أن تهدئ من أنفاسها اللاهثة . جاء وراءها وقال :

– لماذا أنت خجول لهذه الدرجة معي ؟ ألم يحدث أن اجتاحتك تلك المشاعر من قبل ؟

هزت رأسها نفيا وهي تحس فجأة بأنها صغيرة وغير مجربة والحقيقة أنها لم يسبق لها أن أحست بمثل هذه المشاعر من قبل وهو ما جعلها خائفة لدرجة الموت لمس كتفها فجفلت وهمست :

– لا تفعل من فضلك – إنني لا أريد أن يحدث ذلك . أعني .. إنني لم يسبق أبدا .

قطعت كلامها وهي محرجة وخائفة مما قد يظنه .قال من خلفها بصوت يدل على أنه فهم ما لم تستطع قوله :

– آه .. لقد فهمت وأنا آسف يا حبيبتي . أعتقد أنني لم أدرك ذلك .

استدارت ونظرت إليه .

– أنت من عالم مختلف وحقا نحن لا يعرف كل منا الآخر معرفة جيدة ولا أعرف ماذا حدث ولكن ..

أكمل جملتها :

– ولكنك تظنين أن هذه ليست فكرة جيدة .. أنت على حق فعلا مرر أصابعه في شعره مما جعله منكوشا . لم تستطع أن تفكر في شيء تقوله .

لقد كان عمق لمسته على جلدها لا زالت واضحة في ذهنها وأحست بالارتباك من الرسائل المتعارضة التي يرسلها قلبها ولأن جزءا منها كان يتمنى لو أنه لم يتوقف .

راقبها وأنفاسها تعود إلى حالتها الطبيعية ثم ابتسم ولمسها برقة فوق كتفها وقال :

– هاي ! لا تظهري غاضبة إلى هذه الدرجة وأنا آسف لو كنت عدوانيا أكثر من اللازم .

– لا بأس .. ولكن كل ما هناك إنني لا أستطيع .

أخذ نفسا عميقا .

– أفهم ذلك ومن المحتمل أن هذه الطريقة أفضل لأنني مجرد عابر سبيل

www.elromancia.com

ولا أريد أن أسبب مشاكل لك بعد ذهابي.

اخترقتها الكلمات ومحت أي أثر للإثارة ، ولذة قبلاته عقدت ذراعيها على صدرها بقوة قال :

– ومن أجل تحكمي في نفسي أعتقد أن علي أن أتركك بمفردك الآن . هل نحن أصدقاء ؟

نظرت إليه وهي تحس بالريبة :

– حسنا .. كأصدقاء نحن نختلف في عدة نقاط .

– ولكن كما يقوله لي أخي نحن اتفقنا على ألا نختلف .

قالت :

– بالتأكيد .

أحست بطعنة في قلبها وهي تراه يخرج من الباب .

الفصل الثالث

كان شعره الأسود يسقط على وجهه عندما سمع صوتا ينادي :

– هاي يا زعيم .. هناك متاعب في الموقع .

جلس "كول" في السرير بسرعة وهو يتنفس بصعوبة والعرق يغطي جسده وتعرف بصعوبة على الصوت خارج الكبينة على أنه صوت أحد عماله . رد وهو ينزل من السرير وهو يلبس ملابسه بطريقة آلية :

– سأكون هناك حالا .

تذكر حلمه فاخذ يسب . يا إلهي ! إن تلك المرأة تطارد أحلامه إنه لم يتعد الحقيقة عندما سماها الطبيبة الساحرة . لابد أنها ساحرة لأنها أصبحت داخل جلده تماما .لقد حلم بها عدة مرات في يوم واحد حول ما حدث بينهما من أسبوع وأثار عاطفة قوية بينهما وكان الحلم في كل مرة ينتهي قبل أن يتمكن من إشباع رغباته ، قال لنفسه أنه من الأفضل أن يجد لنفسه امرأة أخرى .

لقد كانت "سكاي آرشر" صغيرة وبريئة للغاية وهو يعرف مدى المخاطر التي تبدأ مع مثل هذه المرأة . إما أن ينتهي به الأمر بالشعور بالذنب لأنه

استغلها أو أن يشعر بالسقوط الشنيع عندما تتركه لتجرب مع رجال آخرين مثل "ديدريه" .

أبعد في ألم المشاعر المؤلمة التي ما زالت تنمو داخله عندما فكر فيها . كانت تريد أن تجرب العالم ووافقها لأن ذلك ما كانت تريده ، ولم تكن مجربة ولا تراعي مشاعره عندما وجدها بين أحضان أحد عماله . حسنا ربما كان يرجع ذلك إلى صغر سنها وكان ناضجا بدرجة كافية مكنته من أن يخفي حرجه .

إن الصدمة هي أن عليه أن يلازم امرأة من سنه من أجل مصلحته ومصلحتها أيضا وهذا يعني أن عليه أن يترك "سكاي آرشر" في حالها على الرغم من أن أحلامه تجعل ذلك الأمر صعبا . تاوه "كول" عندما أدرك اتجاه أفكاره وصفق الباب بشدة وهو يتجه نحو الموقع . كان ما وجده هناك كافيا لأن يزيل عنه أية أفكار .وجد فوق كل معدات "دنتون" في موقع المنتجع وفوق المركز الرئيسي والمباني وقد كتب فوقها بالطلاء الأحمر كلمة "غير آمن" – :انقذوا أطفالنا وتخلصوا من منتجع "دنتون" . "عد إلى بيتك يا "دنتون" .

سب "دنتون" ولعن عندما قرأ الكلمات كان من الواضح أن الأهالي المحليين يتميزون غضبا نحو شركة منتجعات "دنتون" وما تفعله في بلدتهم وقد عرف من شعار "أنقذوا أطفالنا أن إصابة الطفل "ريكي زيل" في الواقع هي المحرض لهذا الهجوم .سأله العامل "سترتش" :

– ماذا ستفعل يا ريس ؟

نظر "كول" حوله أول مرة ولاحظ أن رجال المدينة يتجمعون حول الموقع وهم يقرأون الشعارات ويعلقون عليها . كان آخر ما يريده هو الدعاية التي تثير المشاعر السيئة ضده :

– اطلب من الرجال أن ينظفوا كل هذا في الحال .

أزيلوا الطلاء عن المعدات وعن المبنى ودعونا نوقف كل شيء إلى أن نغطيها .شدد قبضته وهو يعطي تعليماته ويحسب ما ستفعله بالإضافة إلى ضياع يوم العمل .

حاول أن يهدئ من غضبه فاقترب من بعض الرجال من أهل المدينة

وسألهم في غيظ :

– هل لديكم أية فكرة عمن تسبب في هذه الفوضى ؟ كان الإنكار سريعا .تفرقت مجموعة الرجال وهز رأسه في غيظ وإحباط . يا إلهي إن هؤلاء الناس متحدون معا . لاحظ أن "سكاي" تقف معهم مع "توم زبل" ورجل آخر رآه في القرية وهم يتكلمون باهتمام . عندما استدار نحوهم كانت الأفكار السيئة تسود عقله : هل لعبت "سكاي" دورا فيما حدث ؟ لقد تذكر في وضوح كلماتها السابقة التي قالتها في غضب في حجرة انتظار المستشفى :

إن موقع التشييد غير آمن .

نظر مرة أخرى إلى الكلمات المكتوبة باللون الأحمر فوق المعدات ورأى أنها تشبه نفس ما قالته . اتجه في حزم إلى المجموعة ،صمت الثلاثة وهم يراقبون اقترابه وسألهم .

– هل تعرفين شيئا عن هذا يا "سكاي" ؟

نظرت بسرعة إلى "توم" ثم عادت إليه وقالت بسرعة :

– لست أدري من فعل هذا يا "كول" ؟

– هل لديك أية فكرة ؟

ترددت ونظرت إلى الرجلين اللذين معها ولكنهما ظلا صامتين يراقبانها . قالت أخيرا :

– اسمع ! أيا كان من فعل ذلك فإنه معبر تماما عن مشاعر أهل المدينة . إننا لا نحب ما تصنعه منتجعات "دنتون" لحياتنا ولا نحب حقيقة أن أحد أبنائنا يصاب .نظر الرجلان إليها موافقين وأدرك "كول" بوضوح أن المواجهة هي اختبار لوفائها . لقد كانت معه ولا شك في أن هناك بعض الإشاعات بين أصدقائها حول أنها ذهبت إلى جانب العدو ولكن كان من الواضح أنها لم تنحز إلى جانبه . قال وهو ينظر إلى وجهي الرجلين ثم إلى وجه "سكاي" .

– لقد تألمت كثيرا نحو الحادثة ولكن الثقب في السور تم إصلاحه بعد إصابة الطفل ،وأمرت بإجراء تفتيش دوري منتظم على المكان من وقتها .

ظن أنه لمح نظرة تعاطف في عينيها ولكن كلامها بعد ذلك كان

حاسما .

– هذا جميل ولكن هناك عددا كبيرا من الغرباء هنا الآن والكثير من الغبار والقمامة وبدأت "كروكد فورك" تبدو على شكل مختلف والناس يأملون . . حسنا إنهم يأملون أن ترحل عن المدينة .

– هل هذا ما تريدينه أيضا؟

بدت الكلمات وكأنها انتزعت منه على الرغم منه ولزم عليها في الحال . بالتأكيد لن تستطيع أن تظهر أي تعاطف إيجابي نحوه أمام الرجلين ومع ذلك أحس برغبة شاذة في أن يريهما ذلك أيضا وأن له نوعا من السلطة على تلك الفتاة الجميلة وهما اللذان يعتقدان أنهما يسيطران عليها . لم يكافأ إلا بحمرة الخجل تصعد خديها . قالت برقة :

– إنني لا أحب الطريقة التي تتغير بها مدينتنا .

استدار "كول" نحو "توم" الذي ظل صامتا في أثناء الحديث .

– وماذا عنك يا "زبل" ؟ هل لديك أية فكرة عن الفنان الذي فعل ذلك؟

لوى الرجل شفتيه ومرر يده فوق شعره اللامع .

– لست أعرف من هو الرسام ولكن كما قالت "سكاي" لابد أننا سنتنفس هواء نقيا لو أبعدت معداتك إلى مكان آخر .

زفر "كول" زفرة حادة وقال :

– حسنا ! أعتقد أنكم أيها الناس لن تقولوا لي من قام بالكتابة فوق معداتي ولما كنت متأكدا من أنكم تعرفونه فإنني سأترك معك يا "سكاي" رسالة إلى المعتدين . إن الوقت الذي سيقضيه الرجال في تنظيف المعدات سيكلف شركة "دنتون" الكثير من المال وسيبطئ من تقدمنا في العمل وهو ما لا يسعدني .

سكت ليعطي تأثيرا . ورأى للمرة الثانية لمحة تعاطف في عيني "سكاي" واكمل :

– عليّ أن أعين حارسا وسأفعل ولو اضطررت لإحضار الشرطة إلى هنا فسأفعل ولكن مهما فعلتم أيها الناس فلن يثني ذلك شركة "دنتون" ويجعلها ترحل لأنني لست خارجا على القانون كمن يستحق المطاردة هل

فهمتم ؟

قال "توم زيل" وقد لوى شفتيه :

– بالتأكيد فهمنا .. أنت تتكلم كلاما كبيرا أيها العجوز . وأنني أتساءل هل تستطيع أن تنفذ ما قلته ؟

توترت عضلات "كول" وهو يراقب وجه الشاب الوقح .

– جربني يا "زيل" .. فقط ما عليك إلا أن تجربني .

استدار فجأة واتجه نحو الرجال الذين يزيلون الطلاء . وصلت "سكاي" كبينتها في منتصف النهار وهي ما زالت مهتزة مما حدث لموقع الإنشاءات . لم تلم "كول" على غضبه فقد كانت المعدات غالية الثمن كما أن التخريب كان بمثابة تأخير وخسارة . كانت لديها شكوكها حول من قام بالتخريب وبقدر ما كرهت أن تعترف لنفسها فإن "توم زيل" كان من بين الذين تشك فيهم . كانت قد سألته وأنكر ولكنها تحت الطريقة العصبية التي رد بها على أسئلة "كول" .

تنهدت وخرجت من الباب الخلفي للكبينة وجلست على سور عريض استخدمته كأريكة . كانت تكره ما يفعله "دنتون" بالقرية وكل هذا التراب والقاذورات والناس الغرباء حول المدينة وخاصة المصطافين الذين بدأوا يملأون الأكواخ التي أقامتها "دنتون" بالفعل . إنها لم ترغب أن يتغير الجبل الهادئ ولكن لو استمرت مباني مشروعات "دنتون" فإن نمط الحياة القديم سرعان ما سيختفي وهي تكره ذلك ، ومع ذلك فإن فكرة أن "دنتون" قد يجمع معداته ويرحل جعلت قلبها ينبض بشدة . لقد بدا متعبا للغاية هذا الصباح ومحبطا .

لقد اكتشفت في لحظة ما أن داخل الرجل جزء حساس تأثر من الغضب بسبب شعارات الطلاء .لقد أخفى ألمه بكلماته الحادة ولكنها أحست بهذا الألم ،سمعت صوت رفرفة أجنحة فوق شجرة قريبة مما أعادها للواقع . قالت بهدوء :

– هل هذا أنت يا "كرونوس" ؟

جاء صوت غراب وهو ينزلق فوق الغصن خلفها نظر الطائر إليها وقد لوى رأسه الأسود اللامع جانبا .

– أوه يا "كرونوس" ليس لدي شيء أعطيه لك الآن .

ضحكت كانت جدتها قد عثرت على الطائر منذ سنوات بعيدة في ممر بالغابة وهو يصيح في يأس طلبا لأمه التي لم تكن موجودة على مدى البصر . قاما بتغذيته بواسطة قطارة وعاش الطائر الصغير بمعجزة والآن على الرغم من أنه حصل على حريته فإن الطائر لا يزال ملتصقا بالكبينة . قفز الطائر مقتربا منها ورأت التوقع في عينيه :

– أنت تعرف أن المكان ممتاز هنا .. أليس كذلك ؟

ابتسمت ودست يدها في الشورت ووجدت قطعة حلوى كانت قد وضعتها في جيبها في الصباح .نعق الطائر عندما رأى غلاف قطعة الحلوى الأسود ،قدمتها له وهي تتكلم برقة . بعد لحظة تردد قفز فوق يدها وأمسك الحلوى في منقاره ثم طار إلى أعلى مستقرا فوق أقرب شجرة .

ضحكت "سكاي" ثم نهضت ونظرت حولها ،كانت في حاجة لأن ترسم بعض اللوحات اليوم . كانت لوحاتها بالفحم تلقى رواجا يوما بعد يوم وكان ذلك يوفر لها أموالا إضافية . كانت تحب الرسم ولكنها كرهت فكرة أن تظل قابعة في كبينتها فترة ما بعد الظهر ، ربما كان عليها أن تحضر دفتر رسمها وتخرج لتعمل بالخارج ،استقر رأيها ودخلت لتحضر معداتها .

عندما أصبح عليها أن ترى لوحة الرسم بوضوح رفعت عينيها للسماء . لا عجب في أنها لم تعد ترى بوضوح فقد ساد الظلام بسبب السحب الكثيفة القاتمة تتخللها بعض البقع البيضاء التي تهدد بخطر الأمطار بينما ظهرت الشمس وسط السحاب عند أقصى الغرب .

كانت قد عملت طوال النهار كعادتها دون أن تدرك كيف أن الوقت يمضي سريعا . عندما وضعت الحامل أرضا سمعت صوت سيارة تقف في الممر . تريثت وهي حائرة عندما سمعت صوت طرقات على الباب .من يا ترى صعد الجبل هذه المسافة الطويلة والجو يبدو خطرا وغير مشجع ؟ لابد أنه واحد من معارفها لأن "فارمر" لم ينبح على الإطلاق

فتحت الباب لترى "كول" بجسده الفارع أمامها . قالت :

– هاي ! لقد دهشت أن أراك هنا .

– هل يمكنني الدخول ؟ إن الجو بارد لدرجة التجمد .

فتحت الباب على مصراعيه لتدعوه وسألته :

– هل يمكنني أن أحضر لك بعض القهوة ؟

قال وهو يدلك يديه معا اللتين بدوتا خشنتين وبهما طلاء أحمر :

– إن الشاي الساخن يبدو أفضل .

جلس في صمت إلى المائدة بينما أخذت "سكاي" تتحرك حوله في أثناء انتظارها غليان الماء ، قامت بتسخين بعض الحساء المتبقي وشرائح خبز وجبن ووضعتها فوق صينية . قالت شارحة وهي تحضر الصينية إلى المائدة :

– إنني لم أتناول الغداء ولا العشاء وأحس بالجوع القاتل .. هيا أخدم نفسك .

ذهب التحفظ بينهما وهما يأكلان ، ووجدت "سكاي" نفسها تختلس نظرات إلى "كول" باستمرار . كانت هناك دوائر سوداء حول عينيه بينما ارتخت كتفاه قليلا ولكنه أكل الحساء والخبز بشهية وحماس. قال أخيرا وهو يسترخي على مقعده وعادت عيناه إلى بريقهما السابق بينما وضع كفيه في رضا على معدته :

– إنه عظيم .. إنه أفضل بكثير من حساء العلب .

ابتسمت من صوته الراضي وقالت :

– أنا سعيدة لأنه أعجبك .. إنني أحب الطهو والأكل.

نهضت وبدأت تجمع الأطباق الصيني من فوق المائدة .قال وهو يأخذ أطباقه إلى حوض المطبخ :

– دعيني أساعدك في غسيل الصحون .

عملا معا في صمت وبعد دقائق كان العشاء قد انتهى فتحت "سكاي" زجاجة شراب فواكه من صنع البيت كان "بوب چونز" قد أعطاها لها عندما أحضرت له المرهم في الأسبوع الماضي ،حذرته وهي تناوله قدحا.

– هذا الشراب قد يكون مركزا .

انتقلا إلى حجرة الجلوس وجلسا أمام المدفأة قال :

– أتدرين أنك شخصية مريحة .

– ماذا تعني ؟

شرح :

– إنك لا تسألين العديد من الأسئلة مثل تلك الليلة فقد حضرت الليلة دون دعوة ودون توقع دون أن تعترضي وتسألي عن هدفي وتقدمي لي العشاء وأشعرتني أنني في بيتي .

احمر وجهها خجلا من مجاملته وقالت بمرح :

– أعتقد أن هذه عادة الضيافة في الإقليم ولكن لابد أن أعترف بأنني أحس بالفضول .

– حول حضوري ؟

أومأت موافقة :

– لقد ظننت أنني آخر شخص تريد أن تراه بعد ما حدث في الموقع هذا الصباح .

اهتز عصب في خده :

– لم أكن سعيدا من أي شخص هذا الصباح . لقد انتهينا تقريبا من كشط الطلاء ومسحه من فوق الجدران ياله من وقت ضائع !

نظرت للأرض وهي تفحص إحدى العقد في الخشب ،وأحست بالرثاء له ولكنها لم ترغب أن تخون أصدقاءها وجيرانها وبالتأكيد فهمت العاطفة التي دفعتهم للكتابة بالطلاء تلك الكلمات القبيحة فوق كل الموقع حتى وإن كانت مشاعرها الخاصة لم تتجه مثل اتجاههم .سألها :

– ما هو الشيء الرهيب في وجود منتجع "دنتون" في هذا المكان يا "سكاي" ؟ إن هذا هو السؤال الذي أردت أن أوجهه لك هذه الليلة . أعلم أننا نغير بعض الأمور وسيأتي أناس جدد وأستطيع أن أفهم سبب بعض الكراهية والرفض ولكن هذا المكان في حالة يرثى لها وستقدم شركة منتجعات "دنتون" العديد من الوظائف للناس .

– إننا لم نر لافتات هنا تطلب المساعدة .

– حسنا .. إن هذا يتطلب وقتا ،فعلينا أن نعد المكان لبدء العمل ونبني المنتجع ونحن في حاجة إلى عمال مهرة في هذه المراحل الأولية ، ولكن ما أن يتم إعداد المكان للمنتجع فمن المحتمل أن يخلق فرص عمل تقريبا لنصف القوى العاملة في المنطقة إذا أرادوا العمل .

تجهمت :

– أعتقد أن أحدا لا يدرك ذلك وأنا نفسي لم أدرك ذلك . كل ما نراه هناك هو العديد من الغرباء يتسكعون في المكان وبعض السياح المتحذلقين في ملابس غريبة يأتون ليتجولوا في المستوطنة ويتحدثوا عن الفقر السائد فيها ويصيح بعضهم : انظروا إلى هذا الطفل عاري القدمين والجو مثلج بالخارج وانظروا إلى هذه الفتاة التي لم تتجاوز التاسعة عشرة ولديها ثلاثة أطفال أليسوا أناسا يثيرون الاهتمام والتسلية ؟

رد عليها "كول" :

– هل هذا الأمر بهذه الدرجة من السوء ؟

– نعم إلى جانب الرجال الذين سيحملقون إلى النساء وكأنهن معروضات للبيع .

تنهد :

– اسمعي ! لست أفهم لماذا يقلقكم هذا ولكن لأصدقك القول أنتم معشر أهل هذه الناحية غير عاديين ومن الصعب أن ندرك أننا في القرن العشرين هنا .

سقطت العصا التي كانت تلعب بها ورفعت رأسها فجأة .

– عندما عشت في "دينفر" حصلت على جرعة صحية من القرن العشرين ولكني لم أحبها . إن الناس هناك لا يعرفون أسماء جيرانهم ولا تستطيع حتى أن تفتح بابك في الليل خوفا من أن يكون الشخص الذي يطرقه مجرما مجنونا . والضجة لا تكف أبدا ، والناس يتنفسون المشاكل وعليهم أن يظلوا داخل بيوتهم نصف الوقت بسبب تلوث الهواء .

– إنني لم أفكر أبدا في المدينة بهذه الطريقة .

قالت :

– لقد كرهتها ولم أشعر بالسعادة إلا عندما عدت ورأيت الناس هنا . الناس الذين عرفتهم في حياتي وأعرف أنني أستطيع الثقة بهم والهواء النقي جدا .

تنفست الهواء في تلذذ وهي تتذكر ذلك الشعور . قال :

– هذا هو الأمر . ولكن هناك أموراً حول هذا المكان تجعلني أصاب حقا

بالجنون .

– مثل ماذا ؟

– إن الناس هنا منغلقون على أنفسهم للغاية في عقولهم وطريقة نظرهم للأمور . إنني لم يسبق لي أن قوبلت بالعداوة من قبل مثلما حدث معي هنا وهو ما لا يصدق .

– لا بد أنه شعور خاص بك .

تساءلت إن كان من شأنها أن تخبر رجل المدينة الثري عن مدى وحدته . مد يده ووضع أصبعه تحت ذقنها وجعلها تنظر في عينيه وابتسم :

– إنه شعور فريد ولهذا أتيت هنا لمقابلتك ، في الحقيقة لقد شعرت بالمرض الشديد لأنني أتناول طعامي بمفردي أمام التليفزيون داخل كبينتي .

– هل أتيت إلى هنا بحثا عن العشاء !

– حسنا .. شيء مثل هذا وكذلك مصاحبة امرأة جميلة متعاطفة .

أحست بالدماء تصعد خديها وابتعدت عنه وهي تحملق إلى الغرفة . كان قلبها يدق بشدة وسرعة :

– ولماذا أيضا أتيت ؟

ضحك أمام الارتباك الذي أحسته نحوه :

– أليس هذا بسبب كاف ؟ ولكن في الحقيقة هناك سبب آخر . أريد منك معروفا .

رفعت حاجبيها وهي تنتظر أن تسمع ما يريده . أخرج رزمة من الأوراق المالية وناولها :

– أريد منك أن تعطي هذه إلى أم "ريكي زبل" .

حملقت إلى رزمة الأوراق الضخمة من فئة العشرين دولارا .

– لماذا ... ؟

– لقد ذهبت للمستعمرة لأرى كيف حاله . إن منتجعات "دنتون" ستغطي مصاريف المستشفى بالتأكيد ولكني أردت أن أرى بنفسي أن الولد على ما يرام .

أومأت برأسها وهي تنتظر :

– إنهم لم يسمحوا لي بالدخول .

– من الذي لم يسمح لك ؟

– صديقك "توم" وأم "ريكي" وأعتقد أنها كانت ستتكلم معي لولا أن "توم" كان هناك يخبرها أنني واحد ممن تسببوا في الحادث لـ"ريكي" ...

تجهمت . لقد كان "توم" صديقها وهي تعرفه طوال الحياة ، ولكنها تعرف أن له طبعا حادا وعلى استعداد للعداوة .

قال "كول" :

– لقد فهمت قبل أن يأمرني "توم" أن أغادر أملاكهم وهو يهددني ببندقية أن حالتهم المالية سيئة للغاية . لقد بدا المكان منهارا ومفلسا تماما وتصورت أنني لو أعطيتهم شيئا يساعدهم ولكني أعلم أنهم لن يأخذوا مني شيئا مباشرة .

– إذن أنت تريدني أن أعطيه لهم ؟

أومأ موافقا :

– لأم "ريكي" بطريقة ما لا تشعرها بالإهانة في قبوله ولكن لا تعطيها لصديقك "توم" .

بدا صوته مشوبا بالمرارة وهو يذكر اسم "توم" وضعت يدها على يده في تردد .

– هذا كرم منك .. إنه ... حسنا إنه ضيق التفكير عن الناس .

– هل هو حبيبك ؟

رفعت رأسها أمام سؤاله المفاجئ واعترفت .

– نوعا ما .

– ماذا تعنين بنوع ما من الحبيب ؟

هزت كتفيها بلا اكتراث . كانت نظرته المتفحصة تقلقها .

– إن الجميع في المستوطنة يتوقعون منا أن نتزوج .

– وهل ستفعلين ؟

– لست أدري .

– كيف تشعرين نحوه ؟

– إنه صديق قديم وأنا مهتمة به .

– إنه تافه .

نهض "كول" فجأة وأخذ يذرع الحجرة ونظر خارج النافذة .

– لا تقل هذا عنه .

استدار نحوها وعيناه مشتعلتان ولم لا .. ؟ ألم يؤذك ؟ هل أنت واقعة في حبه لدرجة أنك تتعامين عن أخطائه؟

– لا أعرف أن له أخطاء والجميع لهم أخطاء .

– حسنا – هل يثيرك ؟ وهل تحبين طريقة تقبيله لك ؟

– هذا ليس شأنك .

نهضت وابتعدت عنه في غضب . إنها لا تريد أن تفكر في الطريقة التي قبلها بها "كول" في الأسبوع الماضي والتي تختلف تماما عن طريقة "توم" .

قال :

– هاي ! لم يكن من الواجب أن أسألك عن هذا.

كان صوته أقرب مما توقعت واستدارت نحوه ثم ترددت . كان واقفا ملاصقا لها والطريقة التي كان ينظر بها إليها سببت رعدة في أعماقها.. هل كان خوفا أم إثارة ؟

قالت وهي تنظر إلى الأرض ولكن صوتها المهتز أظهر اضطرابها .

– لا بأس :

– انظري إلي يا "سكاي" .. يا إلهي ! إنني لا أستطيع ..

أمسك بكتفيها ورفعت عينيها لتلتقيا بعينيه . بدا لونهما الرمادي وقد ازداد عمقا وسمعت الأنفاس محبوسة في صدره وسط سكون الكبينة .

قبلها برقة في البداية ثم ازدادت قبلاته عنفا . همست له :

– أرجوك ألا تبدأ هذا مرة أخرى يا "كول" !

– ولم لا ؟ إنني فقط أريد أن أحتضنك لحظات وهو أمر لا تخشينه .

– لا أعتقد أن عليها أن ...

– إذن لا تفكري في الأمر .. إنك جميلة للغاية . إنني أحب شعرك الطويل الكثيف مثل شعر الهنود الحمر .

نزعت نفسها بقوة وهي تصيح :

– لا يا "كول" .. لا تستطيع أن تفعل ذلك بي .

– إنني أقول فقط ما أشعر به يا حبيبتي الحلوة .

www.elromancia.com

– إنني فقط خائفة فلم يسبق لي أن شعرت بمثل هذه المشاعر من قبل ولكني . –

– ولكن ماذا ؟

– ماذا أفعل بعد أن ترحل ؟

تعلق السؤال الشاكي في الهواء بينهما وسط سكون الكبينة وتصلب فك "كول" وهو ينظر إليها ،ورأت الدفء في عينيه قبل أن يتكلم وهو يبعدها عنه :

– أنت عاقلة يا "سكاي" ولابد أن أعود لبيتي . في خطوات سريعة ناعمة عبر الكبينة وظهره متصلب ،سوت شعرها وملابسها بسرعة . لقد انتهت لحظة الإثارة وأحست بألم الوحدة عندما فكرت أنه قد يرحل . عندما نظرت إلى الساعة المعلقة على الجدار جفلت فزعة ، وقالت في دهشة :

– إنها العاشرة بالفعل .

قال بصوت ممطوط وهو يستدير ليبتسم لها .

– إن الوقت يطير عندما أكون معك .. آسف لهذه النكتة الغبية .

ضغطت وجهها على زجاج النافذة وهي تتلصص وسط الظلام ودهشت عندما رأت ستارة من الضباب تغطي قمم الشجر :

– يا ترى كيف حال الجو في الخارج ؟ أوه .. لا .. انظر يا "كول" إلى الخارج .

عندما جاء إلى جوارها ونظر إلى الخارج صاح :

– يا إلهي ! إنني في نهاية شهر أيار (مايو) ! كيف يمكن أن يسقط الثلج في هذا الوقت ؟

قالت وهي تقهقه :

– إنك فوق الجبال .. لقد سقط الثلج عندنا في حزيران (يونيو) من قبل أخذ يذرع الحجرة بخطوات قلقة ثم فتح الباب الأمامي وخرج في شجاعة :

– إنني أتساءل كم عمقه . حوالي عشرة سنتيمترات وقد بدأ يتجمد .

– عليك أن تبقى هنا الليلة .

عاد للداخل وتعبير استغراب على وجهه :

– ماذا ؟

– لقد قلت إن عليك أن تبقى الليلة . إنك لن تستطيع القيادة وتهبط الجبل في هذا الجو .

– بالتأكيد أستطيع .

دارت عيناها في مآقيها :

– أوه بحق السماء ! لا تكن غبيا ومغرورا . لن يستطيع أي شخص في هذه المنطقة أن يحاول القيادة في هذا الطريق في أثناء هطول الثلج وأنت حتى غير معتاد المنطقة . انس الأمر .

نظر إليها بعينيه الضيقتين لحظات ثم هز كتفيه :

– إذا قلت ذلك ولكن رحيلي كان أداتي الوحيدة للتحكم في نفسي .

ضحكت :

– لا .. لن تفعل ولن تتخذ العاصفة عذرا للسلوك السيئ وأتوقع أن تقوم بنصيبك في العمل هنا وهو ما سيبقى عقلك سويّ التفكير . سألها وهو يتظاهر بالرعب :

– العمل ؟

أومأت وهي تضع يديها في وسطها :

– كبداية يمكنك أن تحضر حملين من الخشب فإن الجو بدأ يبرد بشدة .

تأوه :

– لقد تحولت إلى عبد . إذن هذا هو الجزاء .

عندما وجهته إلى كومة الخشب خارج الكبينة من الباب الخلفي وجدت نفسها تبتسم . تساءلت لماذا تشعر بخفة في القلب وسعادة؟ لقد تعودت الوحدة هنا وكم أحبت أن يكون معها صحبة ،ولكن الدفء الذي ولده وجود "كول" فاق كل الحدود التي تعودتها . دخلت حجرة نومها . لم تكن معزولة جيدا مثل بقية الكبينة وفي الليالي الباردة كانت تنام أمام النار . ابتسمت في نفسها وتذكرت كم كانت تلك الليالي دافئة وعائلية في طفولتها هي وجدّاها تعودا أن يحضروا مراتب بالقرب من الفرن وغالبا ما ينتهي بهم الأمر وهم يثرثرون وسط الليالي الحالكة . ظهر "كول" عند

باب غرفة النوم ودخل وهو ينظر حوله :

– أين سانام ؟ هاي .. إن الجو متجمد هنا !

– أعرف . غالبا ما أنام أمام النيران في الليالي الباردة .

– إنها فكرة عظيمة وتبدو رومانسية .

– هذا بالضبط ما أخشاه .

وضع ذراعه على كتفها وقال :

– سأحاول أن أكون طيبا .

لمح رف كتب طويل معلق بطول الجدار البعيد من الحجرة :

– أترين .. إنني سآخذ أحد هذه الكتب وأشغف نفسي فترة قبل أن يغلبني النوم .

درس العناوين بصورة عفوية في البداية ثم زاد اهتمامه .

– هاي ! إن لديك مجموعة رائعة هنا . هل تقرئين كثيرا ؟

– طوال الوقت .

– ما موضوعاتك المفضلة ؟

اقتربت من الرف وأخذت مجلدا ضخما :

– هذا . وهذا وهذا .

قرأ عناوين الكتب "أوديسة" "هوميروس" ومائة رواية بوليسية كبرى :

– يا لها من مجموعة رائعة ومتنوعة .

ضحكت :

– في الحقيقة إنني أحب كل هذه الكتب تقريبا وهي ملك جدودي وكنا نقرأ كثيرا في المساء لعدم وجود جهاز تليفزيون هنا كما تعلم .

سألها وهما يغادران الحجرة المتجمدة .

– كيف عشت مع جديك بدلا من والديك ؟

– لقد توفي والداي عندما كنت طفلة .

– هل يزعجك أن أسأل ؟

قلبت النيران وهي تنظر إليها ساهمة :

– إطلاقا – عندما ولدت قرر أبي أن نترك الجبل حيث كانت المعيشة قاسية حتى وقتها .

جلس بجوارها وهو يومئ برأسه لتكمل .

– لذا انتقلنا إلى "سان فرانسيسكو" وتركاني مع جليسة أطفال في إحدى الليالي بعد حوالي ستة أشهر من وصولهما إلى هناك . لقد قتلا بواسطة سائق مخمور وحضرت جدتي إلى هناك وأخذتني .

– أنا آسف .

ابتسمت ابتسامة مقتضبة .

– لقد كان جدي وجدتي عظيمين معي وكانا دائما الشباب .

– أراهن أنك تشتاقين إليهما .

أومأت موافقة :

– هذا أسوأ شيء عندما يربيك الجدان فإنهما يتركانك صغيرا. مال "كول" للأمام وأمسك بذقنها في يده .

– هل أنت وحيدة يا "سكاي" ؟

نظرت في عينيه واجتاحها عمقهما ولم تعد قادرة على التظاهر بعدم الاهتمام به فأومأت موافقة وقالت معترفة :

– نعم . أنا وحيدة أحيانا .

قال بصوت منخفض متذبذب وهو يدلك وجهها بأصابعه برقة :

– هل أنت سعيدة لأنني معك الليلة ؟

أخذت تنظر إلى الموقد القديم وقالت :

– إنني أشعر بالسعادة عندما يكون معي أحد لأتحدث معه .

– وهل هذا ما تشعرين به نحوي .. سعيدة لأنك وجدت من تتحدثين معه ؟

أمسكت يده ونزعتها بعيدا عن وجهها وسألته :

– ماذا تريدني أن أقول ؟ إنني أحب أن تحتضنني ؟ وأن قبلاتك تجعلني أشعر شعورا مختلفا عما أحسه من ذي قبل ؟

– وهل هذا حقيقي ؟

ظلت تفحص مفتاح الموقد غير راغبة في أن تنظر إلى عينيه :

– أنت تعلم ذلك .

– ولكنك لازلت لا تريدين أن تتمادي في الأمر .

www.elromancia.com

بدأت ضربات قلبها تشتد ولكن كان عليها أن تقاوم الرغبة في الدفء الذي يقدمه لها "كول" لأنه لن يظل هنا للأبد وسيرحل قبل انتهاء الصيف.

– "سكاي" !

قالت متجاهلة التساؤل في صوته :

– سأذهب لإعداد الفراش .

إنها تشعر بأنها مختلة التوازن تماما بسبب هذا الرجل ،يجب أن تكرهه أو على الأقل لاتحبه لأنه يمثل مشروعات "دنتون" وبالتالي يمثل كل التغيرات غير المرغوبة التي تحدث في القرية ، ولكنها بدلا من ذلك أحست بأنها منجذبة إليه عندما نزعت المراتب من فوق السرير ووضعتهما إلى جوار النيران وقفت في مكانها سالته وقد أغلقت عينيها لابد أن تسيطر على نفسها . إن سماحها لـ"كول" بالاقتراب منها قد تكون غلطة كبرى وقد لا تستطيع ان تتحملها .

حملت المراتب الثقيلة وهي تزفر ووضعتها أمام المدفأة واستلقى "كول" وقد وضع رأسه على ذراعه أمامها وهو يتابع باهتمام القراءة لإحدى الروايات الغامضة تجاهلته ووضعت المراتب على الجانب المقابل من الموقد ثم غطتها بمفارش إضافية وألحفة . قال يعاكسها :

– هل سننام مبتعدين إلى هذه الدرجة ؟

أومات دون أن تبتسم وقالت :

– أتريدينني أن أترك النور مضاء حتى تستطيع القراءة ؟ أم هل أنت مستعد للنوم ؟

قال وهو يزفر :

– يمكنك أن تطفئيه .

أضاءت النيران المستعرة في الكبينة عندما أطفأت المصابيح ارتدت قميص نومها بعد أن خلعت القميص والجيب . ثم انزلقت تحت الأغطية وهي تحاول أن تتجاهل وجوده معها في نفس الحجرة . مرت ساعة وهي لا تستطيع النوم لقد كانت فكرة قربه منها مزعجة . سألها هامسا .

– هل أنت نائمة ؟

– لا .

– لماذا لا تتحدثين معي ما دمنا غير نائمين ؟

فتحت عينيها على اتساعهما وسط شبه الظلام لقد كان صوته مريحا لها مما جعل الليلة تبدو سعيدة وأكثر عائلية سألته :

– عن أي شيء يجب أن نتحدث ؟

– خبريني عن السبب في أنك تهبطين الجبل جريا كل أسبوع والرجال يطاردونك ؟

انقلبت على بطنها ورفعت نفسها على كوعيها :

– إنك لن تفهم ذلك .

– جربيني .

أحست بطريقة ما بالطمأنينة وسط الدفء وصوته الرقيق .

– حسنا .. إنه من التقاليد . أن المرأة في هذه الأسرة دائما ما فعلتها منذ أم جدتي ووالداي بنيا هذه الكبينة هنا .

– وما الغرض من ذلك ؟

– إنك لن تصدق أن الرجل الذي يستطيع أن يمسكني سيتزوجني .

سمعته يتقلب في فراشه :

– ماذا ؟

– إذا أمسكني رجل فسيتزوجني .

– إنه أمر مثير للسخرية .

استلقت على ظهرها :

– أترى ! لقد قلت إنك لن تفهم .

– بالتأكيد لم أفهم . إن الأمر بدائي للغاية ! إنه يشبه طقوس المغازلة لدى القبائل أو ما شابه ذلك .

قالت بصوت منخفض :

– أرجوك ألا تحتقر ذلك يا "كول" أعرف أن ذلك غريب ولكن هناك بعض المنطق فيه .

– أي منطق ؟

جلست فوق الفراش ولفت ذراعيها حول ركبتيها .

– حسنا .. لو استطاع رجل أن يلحق بي فهذا يعني أنه قوي جدا

Roelromancia.com

وسريع الجري ورشيق وذكي .

– ولماذا ذكي ؟

– لانه لابد أن يعرف الجبال وكيف يتجنب الحيات وأشجار الصبار الشائكة وكل أنواع المخاطر مثلما أفعل . قال :

– فهمت ! ولكن لماذا هذا الأمر مهم لهذه الدرجة ؟

قالت في صبر :

– لان الرجل الذي يتصف بالذكاء والسرعة ، القوة من المحتمل أن يكون زوجا جيدا لأبنائي .

تبينت من صوته أنه جلس هو في فراشه أيضا .

– ولكن لو أنك حتى لا تحبينه ؟

قالت وهي تقهقه :

– هذه ستكون مشكلة ولكن يبدو أنها لا تحدث هذه الأيام بهذه الطريقة أو على الأقل لم تحدث لجدي وجدتي وأمي ،فإن الرجلين اللذين امسكا بهما انتهى الوضع بالنسبة لهم بالحب الحقيقي .

هز رأسه وخرج صفير منخفض من حلقه وقال :

– إن هذه الحضارة تبدو غريبة أكثر فأكثر بالنسبة لي إذن أنت حقا ستتزوجين الرجل الذي يمسك بك عندما تهبطين الجبل جريا؟ هل هذا هو عصرنا ويومنا ؟ ظلت صامتة لحظة ثم قالت :

– أعتقد أن عليّ أن أفعل ولكن يبدو أنه لن يحدث فلم يمسك بي أحد بعد ولست أدري إلى متى سأظل أمارس هذه اللعبة .

– وماذا عن "زيل" ؟

– إنه لن يستطيع الإمساك بي .

فجاة أصبح صوته منخفضا وخطرا وسالها :

– ماذا يحدث لو استطاع شخص من خارج المستوطنة أن يمسك بك ؟

– أنا لست – لست أعرف لأنني لم يسبق أن فكرت في ذلك .

– أراهن أنني أستطيع الإمساك بك .

ضحكت بصوت عال :

– لن تستطيع .

– أستطيع .

استلقت ثانية على ظهرها .

– أنت من الخارج يا "كول" وسيكون ذلك ... حسنا إنه فقط لن يكون أمرا سليما لك أن تفعل ما تفعله ،إنك لا تأخذ التقاليد مأخذ الجد .

– وهل تفعلين ؟

– إلى حد ما نعم .. ولا أريد الحديث في هذا الأمر كثيرا ! .

– لماذا ؟

– لانني أظن أنك تسخر مني .. أظن أنك مثل هؤلاء السياح الذين يتحدثون عن مدى تأخرنا وأنا لا أحب ذلك .

أحست به يتململ مرة ثانية ثم سمعت صوت شيء يتحرك فوق الأرضية سألته وهي حذرة :

– ماذا تفعل ؟

– أنا قادم إليك .

رأته بصعوبة وسط العتمة وهو يقترب منها صامتا .

– انتظر لحظة –

– ها نحن الآن قريبان .

كان قد وضع مرتبته لتلتصق بمرتبتها .

– إنني لست واثقة .

– إنني أريد أن أكون قادرا على رؤيتك .. ثم إنني لا أسخر منك .. كل ما هناك أنك مختلفة عن معظم الناس هنا ،ويبدو لي أنه من العار أن يمسك بك أحدهم بطريقتهم .

– لا عيب هناك في طريقتهم وهي طريقتي أيضا .

– أنا آسف يا "سكاي" . إنني لا أرغب في إهانتك .

– إن الغريب عنا لا يفهم .

– هاي .. لا تحاولي إسكاتي مثلما يفعل الباقون .

– إنه من الخطر أن أدعك تقترب مني .

– لماذا يا حبيبة القلب ؟ لماذا أنت خائفة ؟

أدارت ظهرها له وتكورت في نومها :

www.elromancia.com

– فقط بسبب ....

كيف يمكن أن تخبره أنها لا تريد منه أن يرحل ؟ وأنه لو جعلها تبدأ في التفكير في العالم الخارجي ورحل فإنها لن تشعر بالرضا هنا .

سمعته يتنهد بجوارها وبدأ يتحرك صامتا :

– كف عما تفعله يا "كول" .. ماذا ستفعل ؟

– صه واسترخي . إنني فقط أريد أن أتمتع بوجودك بجواري لحظات،ولن أفعل أي شيء .

تمددت في توتر وتصلب وهي تحس بوجوده إحساسا طيبا قال لها:

– فقط استرخي يا حبيبتي وكل شيء سيكون بخير .

قبل رأسها وبدأ جسدها يسترخي وأخذت الفروق بينهما تذوب أمام حرارة وجوده وسرعان ما استغرقا في نوم هادئ عميق .

الفصل الرابع

– حبيبتي "سكاي" استيقظي ! هناك شخص حضر .

أيقظت هذه الكلمات المهمة "سكاي" من سباتها اللذيذ وعالم أحلامها. سألت وهي مشوشة :

– ماذا ... ماذا يحدث ؟

– هناك شخص عند الباب .

عندما استقرت كلماته قفزت في الوضع جالسة وعيناها مفتوحتان على اتساعهما وقالت :

– إن الضوء ساطع هنا .

– أعتقد أننا تجاوزنا وقت النوم بكثير .

اخترق الطرق على الباب عقلها فصاحت دقيقة واحدة وركلت البطاطين المتشابكة فوقها ثم نهضت واحمر وجهها عندما رأت نظرات "كول" الوقحة . كانت شبه عارية أما هو فكان مرتديا كل ملابسه .

مدت يدها بسرعة وأخذت الجيب والبلوزة التي خلعتهما بالأمس وسألته وهي خجلة من نظراته :

– هل يمكن أن تستدير من فضلك ؟

– سأفعل لو اضطررت لذلك .

زادت حدة الطرق عندما انتهت من تزرير البلوزة وصاحت في نفاد صبر "أنا آتية" وجرت نحو الباب الأمامي للكبينة . فتحت الباب على مصراعيه . فقدت جمال العالم البلوري الذي كانت تعيشه عندما وقع بصرها على الرجل الذي رفع يده ليطرق الباب مرة ثانية .

– "توم" ! ماذا –

– لقد حضرت فقط للاطمئنان عليك . لقد كانت هذه العاصفة غير متوقعة .

قالت بضعف :

– شكرا .

كان يزيل الثلج عن حذائه ذي الرقبة وسألها :

– حسنا – هل يمكنني الدخول ؟

فتحت الباب له وهي تتأوه داخليا:

– أوه بالتأكيد .

– يا إلهي .. كم كانت عاصفة رهيبة الليلة الماضية لقد أوشك الثلج أن يصبح بارتفاع قدم بالتأكيد سرعان ما سيذوب لأن الجو بدأ يزداد دفئا.

كان قد انتهى من خلع سترته وعلقها على الشماعة وراء الباب وكأنه اعتاد ذلك ثم استدار .

– آه ، إنني أرى أنك نمت أمام النار –

قطع حديثه فجأة عندما رأى "كول" مسترخيا في مقعد هزاز . قال في صوت منخفض مختنق :

– أنت !

قال "كول" بكسل :

– هاللو "زبل" !

ظل "توم" صامتا وقتا طويلا وهو ينقل نظره بينهما واحمر وجهه بلون القرميد . قالت "سكاي" :

– ليس يا "توم" ما تظن –

www.elromancia.com

جاء صوته منخفضا وغاضبا .

– إنني أستطيع أن أفهم تماما ما حدث .

– لقد هبت العاصفة وكان "كول" –

– إنني لم أظن أبدا أنك من هذا النوع من النساء .

غضبت "سكاي" من لهجته :

– لست أي نوع من النساء .. أنا هو أنا .

– ولكنك لست نفس الفتاة .

أمسك بسترته وفتح الباب بعنف ثم استدار لينظر إلى "كول" بتعبير هو السم الزعاف .

– "توم" ! انتظر !

– انسي الأمر .

صفق الباب بعنف . جرت وراءه غير مبالية بالثلج على قدميها العاريتين . لقد كانت خيبة الأمل والشعور بالخيانة واضحا في صوته ولا تستطيع أن تتحمل ذلك حتى على الرغم من أنه لا حق له أن يشعر بذلك نحوها . إنها لم يسبق أن قدمت له أي نوع من الالتزام نحوه ولكنها لم تكن حاسمة في عدم تشجيعه على إظهار عواطفه .

– من فضلك انتظر يا "توم" ليس صحيحا .. لقد حاصرته الثلوج هنا هذا كل ما هناك إنه لم .. لم . –

نظر للخلف من فوق كتفيه :

– هل تظنين أنني غبي لدرجة أن أصدق ما تقولينه ؟

– انظر إلي يا "توم" .

أخيرا وقف واستدار .

– بإمكاني أن أختلق لما فعلت .

– إنه ليس كما تظن وعليك أن تصدقني .

أمسك بكتفيها بشدة ونظر إلى عينيها :

– أنت لست امرأة "دنتون" أليس كذلك ؟

هزت رأسها :

– لا يا "توم" لست يا "توم" .

بعد لحظات نحاها جانبا برقة وقال بصوت متحشرج :

– من الأفضل أن تدخلي فقد تصابين بالبرد .

– هل تصدقني ؟

– لست أدري .. هل لازلت تريدين مني أن أحضر للعشاء الليلة؟ أم هل أنت مشغولة ؟

استدار مبتعدا عنها وسار بضع خطوات . كانت تعلم أن رأيه معلق على إجابتها :

– بالتأكيد أريد منك أن تحضر يا "توم" لقد كنت أخطط لذلك وساعد لك أكلة البخنة المفضلة عندك .

زمجر وقفز وهو يسير متعثرا في الممر وهو لا ينظر خلفه . راقبته لحظات ثم عادت للكبينة .

كان "كول" واقفا عند الباب المفتوح وقد عقد ذراعيه على صدره وقد ضم شفتيه بقوة سألها :

– حسنا – هل أقنعته ببراءتك ؟

قالت وهي تتجاوزه لتدخل :

– لست أدري .. بالتأكيد أتمنى ذلك .

أمسكت فوطة وبدأت تدعك قدمها المحمرتين جثا أمامها وقال بصوت خشن غاضب :

– لماذا من المهم جدا أن يؤمن "توم زيل" ببراءتك ؟

ولماذا هذا الأمر من الأهمية بحيث تجرين وراءه وأنت حافية القدمين وسط الثلوج لتقنعيه ؟

– إنك لن تفهم !

انتزع الفوطة من يدها وبدأ يدلك قدميها بخشونة .

– هل هذا لأنك تحبينه ؟

ترددت وهي تتساءل عن ماهية العاطفة في صوته :

– لا ، ليس الأمر كذلك .

– إذن ماذا ؟

زفرت ونهضت وهي تسير في الحجرة بعصبية :

www.elromancia.com

– لو ظن "توم" أنك طارحتني الغرام فإن كل المستوطنة ستعرف ذلك وسيثورون غضبا وسيصبح ذلك معروفا للجميع وسيكون ذلك أمرا رهيبا . لا تقولي لي إن كل النساء هنا كن عذارى قبل زواجهن . إن هذا أمر لا يصدق في هذا العصر .

قالت وهي تهز رأسها :

– لا ليس كلهن . الحقيقة هي إنك من خارج المستوطنة ،وليس هذا فقط بل أنت الشخص الذي هو خلف موضوع منتجعات "دنتون" بالكامل .

– إذن ماذا سيحدث عندما يظنون أنك قضيت الليلة معي وهو أمر حدث بالفعل ؟

احمر وجهها :

– لو ظنوا أننا عاشقان فإن ذلك سيوصمني بالعار .

ولن يثق الناس بي مرة ثانية .

– إذن – في جميع الأحوال ستنضمين إلى جانبهم وليس إلى جانبي؟

قالت برقة :

– إنهم أهلي يا "كول" وسيكونون هكذا دائما أما أنت فلا –

توتر فكه وقال :

– فهمت .

سار إلى المراتب ورفعها ، وقالت :

– أستطيع أن أقوم بهذا .

– فقط تريدين التخلص مني بأسرع ما يمكن .

– لا – لست أقصد هذا .

تجهمت . لقد قالت الحقيقة حول مغادرته للبلدة المتوقعة والمحتومة وهو لم يعارضها فلماذا إذن يبدو غاضبا لهذه الدرجة؟ ولماذا تحس الآن بهذا الخراب ؟ كانت حركاته سريعة وحادة وهو يلملم أشياءه وقال:

– شكرا للماوى !

استدار نحو الباب .

– "كول" ! استدار وانتظر والتقت عيونهما فترة طويلة ولكنها خلت من

الاتصال الفوري الذي أحساه بالأمس . قالت :

– لا تهتم .

– أراك فيما بعد .

أغلق الباب بعنف .

تجاهلت "سكاي" كومة المراتب والأغطية وغاصت في مقعدها الهزاز . يا لها من فوضى ومشكلة . إن "توم" سيشك فيها الآن وما زالت تخشى كلمات "كول" حول زيارته الليلية التي قد تنتشر في المستوطنة ولكن الأسوأ من ذلك الصراع الذي سببته معركتها مع "كول" . لقد كانت مشكلتها أن تبعده عنها جسديا ولكنها لم تنجح في الحقيقة في إبعاده. إن ذكرى ذراعيه وقبلاته أرسلت الدفء في أعطافها .

فجأة نهضت يجب ألا تعيد التفكير في هذه اللحظات إن "كول" سرعان ما سيرحل ويجب ألا تبني قصورا من الذكريات تطاردها فيما بعد .

بعد ذلك الظهر أخذت تبشر البصل من أجل أكلة اليخنة ،أحست بتوتر في معدتها لا يريد أن يزول ،لقد كانت خائفة تماما مما قرره "توم" ولقد رق في معاملته لها عندما جرت وراءه هذا الصباح ولكن عندما يعيد التفكير فيما حدث فإن الدليل أمامه واضح جلي .

دمعت عيناها من أبخرة البصل ولكنها استمرت ، دون هوادة . كانت قلقة من النتائج التي قد يصل إليها في النهاية . كانت قد جرت إلى المستوطنة لمقابلة "لين" في بداية ما بعد الظهر ، وكانت صديقتها تحس بأن هناك ما يشغل بال "توم" .سألتها :

ماذا يا "سكاي" ؟ لقد بدا غاضبا إلى درجة الجنون من شيء ما ولكنه قال إنه سيأتي إلى بيتك للعشاء تناست السؤال واعتذرت بسرعة لترحل ولكن قول "لين" زاد من قلقها .

تحولت أفكارها إلى الأسئلة التي طرحها "كول" في الليلة الماضية . هل ستتزوج "توم" إذا أمسك بها ؟ هل ستتزوجه على أية حال ؟ لقد كانت تعتبر الأمر احتمالا قائما فهو الرجل الوحيد في المستوطنة الذي يثير اهتمامها من بين الجميع وقد تشاطرا ذكريات الطفولة التي قوت أواصر الصلة بينهما .

www.elromancia.com

ولكن فكرة أن يشاركها بيتها وحياتها فكرة غير مغرية على الإطلاق .
كانت تشك في أنه يعرف شيئا عن التخريب الذي حدث في موقع "دنتون" وهي تعلم أيضا أنه ضد أي تغيير في نمط الحياة في الجبال . أن تتزوجه يعني أن تسانده في معركته المريرة ضد أي تقدم من أي نوع وهي لا تؤمن به لدرجة تدفعها أن تتبعه في ذلك . ولكن الأهم والأساس أنها لا تحب "توم" بالطريقة التي يجب أن تحب المرأة زوجها وقد أقنعها بذلك ما أحسته من دفء وعاطفة مع "كول" . لابد أن توضح الوضع تماما هذه الليلة وأحست بمعدتها تلتوي في عصبية . إن الأمر ببساطة هو أنه يجب عليها ألا تدعه يظن أنها تكن له مشاعر عميقة .لم تزل عصبيتها عندما سمعت طرقة "توم" على بابها وسارت ببطء إلى الباب وفتحته .
لم تنجح عفوية "توم" في تهدئة أعصابها وعندما انتهيا من العشاء أحست بالتوتر حتى إنها صاحت :
– هل أحضر لك شرابا ؟
لم يتحرك من أمام المائدة وبدا وكأنه لم يسمعها .
– "توم" ! الشراب!
استدار نحوها فجأة وقال :
– بالتأكيد – أي شراب منعش سيكون عظيما .
أحضرت الشراب إلى حجرة الجلوس حيث كان "توم" جالسا أمام النيران أخذ شرابه وهو يزمجر بما معناه شكرا لك . فجأة أحست بالضيق من عدم قدرته على الاتصال بها فضربت ركبته لتثير انتباهه .
– هل تحاول معاقبتي على ما رأيته هذا الصباح بألا تتحدث معي ؟
تجهم ولكنها على الأقل نالت كل انتباهه وقال :
– لابد أنك توقعت أن أغضب من ذلك .
– ألم تصدقني عندما قلت لك إن شيئا لم يحدث بيننا ؟ ارتشف كمية كبيرة من الشراب وقال :
– من الصعب أن أصدق يا "سكاي" . أعرف أن الرجل يريدك وهو واضح في عينيه ، وقد رأيت كيف كان فراشكما قريبا على الأرض .
بدأ يختنق والألم في عينيه السوداوين واضح . ظلت صامتة وهي تفكر

وهي تشعر بالذنب في الطريقة التي احتضنها بها "كول" الليلة الماضية . بدا وكأنه قرأ أفكارها فمال نحوها ونظر في عينيها – سأصدق كلامك على أنكما لستما عاشقين بعد ومع ذلك لا أصدق أنك ستكذبين علي في ذلك ولكن هل يمكن بأمانة أن تقولي إن "دنتون" لم يلمسك طوال ليلة أمس ؟
أبعدت نظرها عن عينيه وحملقت عبر الحجرة دون أن ترى شيئا، كانت تحس بالدماء الحارة تصعد خديها .
– إذن هو لمسك .
لم تستطع أن تجيبه ولكنها نظرة الشعور بالذنب في وجهها كانت الدليل الذي يريده . قال بصوت ثقيل من الغضب :
– اللعنة يا "سكاي" . لقد كنت أفكر فيك دائما على أنك ملكي وأنت المرأة الوحيدة التي أحببتها طوال حياتي .
التوى شيء ما داخلها وهي ترى الألم على وجه "توم" المألوف ولكن كان عليها أن تقول له الحقيقة مهما جرحته الآن فقد يزيد الألم سوءا لو انتظرت أكثر من هذا .
قالت :
– لا ،لست كذلك .
قال :
– ماذا تعنين .. هل أنا لست الرجل المناسب لك ؟
نظرت إلى الأرض بثبات ويداها تسويان كسرات ثوبها وقالت :
– أنا مهتمة بك يا "توم" لقد كنت دائما أهتم –
أحدث قيامه المفاجئ من فوق المقعد صريرا عاليا فوق الأرض – لا تحاولي التخفيف من أثر الصدمة ! أستطيع أن أفهم ما تقصدين وهو ما يؤلمني أسوأ أن تعامليني كصبي تسري عنه بكلمات رقيقة .
– أوه يا "توم" ! أنا آسفة .
– اللعنة على ذلك المدعو "كول دنتون" لو لم يحضر –
– ومع ذلك لازلنا لا نصلح لبعضنا .
حدق إليها لحظات وقد ظهر الألم في عينيه . أحست بمعدتها تتقلص

عندما رأته يرفع كتفيه وبدا وكأنه يحتاج لجهد خارق ليخرج الكلمات من فمه :

– أنت تعرفين يا "سكاي" أنه سيرحل قريبا ولكن لن يأخذك معه. ألا يمكن لنا فقط .. أن نستمر قليلا ونحاول ؟

هزت رأسها ببطء وقالت :

– لا أظن ذلك .

مرر أصابعه في شعره وهو ساهم وقال :

– ربما لم أحاول معك بجدية أكثر . لقد حاولت دائما ألا أعاملك بقوة حتى لا أخيفك . لقد ظننت أن أمامنا كل الوقت الكافي في العالم ولكني أعتقد أنه كان علي أن أخطو خطوة جادة قبل الآن .

تصلبت عندما اقترب منها .

– من فضلك إنني لا أريد –

مد ذراعيه لها .

– هيا يا حبيبتي .. دعيني أقبلك وأحتضنك للمرة الأخيرة . نهضت في تردد من فوق مقعدها واحتضنها ومرر أصابعه في شعرها وقبلها قبلة خشنة مؤلمة .

لم يكن شعورها سيئا وإن لم يجعلها تشعر بالدوار ولا بالضعف مثلما شعرت مع "كول" وبعد لحظات عندما تأكدت من مشاعرها خلصت نفسها قال في همهمة يائسة :

– أرجوك ألا تتركيني الآن يا "سكاي" .

دفعته بقوة وصاحت في وجهه :

– كف عما تفعل يا "توم" هذا يكفي .

ظلت ذراعاه محيطتان بها وكان عليها أن تتحمل في رعب محاولاته اليائسة .

– الآن كف عما تفعل .

جمعت كل قوتها واستطاعت أن تخلص نفسها من إساره وقد ارتجف كل جسدها وخطت بسرعة بعيدا عنه وقالت له :

– من الأفضل أن ترحل الآن إلى بيتك .

كان تنفسه صعبا وثقيلا وقد بدا الإحباط في وجهه .

– أنا آسف يا "سكاي" ولكن أعرف أن باستطاعتي أن أسعدك لو سمحت لي .

– لا .. !

لوى شفتيه قليلا .

– حسنا .. إذا كان هذا ما تريدينه .. يمكنك أن تأخذي "دنتون" ولكن لن يفكر أحد في المستوطنة كثيرا في اختيارك .

– ليس لأنني اخترت ألا أتزوجك يعني أنني أريد أن أتزوجه.

– هيا افصحي .. إنني أعرف السبب لبرودك معي الآن . فجأة. أمسك معطفه من فوق الشماعة واستدار نحوها .عندما نظر إليها في هدوء كان الغضب قد انسحب من وجهه .

– أعتقد أنني لن أستمر بعد الآن في مطاردتك إلى أسفل الجبل.

– لقد حان الوقت بالنسبة لي أن أكف عن هذه اللعبة بعد الآن. في الوقت الذي وصل فيه جدي وجدتي إلى سني كانا قد تزوجا من سنوات طويلة .

حدق إليها فترة طويلة ثم مد يده داخل جيبه وأخرج حافظة نقوده وأخرج منها صورة :

– هاك أظن أنني لست في حاجة إليها الآن .

أخذت منه الصورة ونظرت إليها . كانت قديمة وممزقة ولكن لا زالت واضحة حيث ظهرت فيها هي و"توم" كطفلين يجريان هابطين من الجبل معا وقد أمسك كل منهما بيد الآخر وقد امتلأ وجهاهما بالمرح الطفولي . قال :

– لقد ظننت دائما أنني سأري هذه لأطفالنا يوما ما .

خرج بعد ذلك من الباب . جرت نحو النافذة وراقبته إلى نهاية الممر وهو يتعثر في سيره وقد انحنت كتفاه وقبل أن يصل إلى حافة الغابة وقف واستدار وحملق وقتا طويلا إلى الكبينة ثم أحنى رأسه واختفى . عندما أصبح بعيدا عن نظر "سكاي" استدارت ودخلت إلى الحجرات دون أن ترى شيئا وغاصت في مقعدها الهزاز ورفعت ركبتيها لأعلى . أخذت تسوي الصورة القديمة بأصابعها مرارا وتكرارا وهي تهتز في مقعدها لم تترك الصورة جانبا إلا بعد أن أدركت أن دموعها تسقط عليها .

www.elromancia.com

الفصل الخامس

– ربما تحاولين أن تصبحي كاملة .

– إنني لم أحاول أن أكون كاملة .

– أنت كذلك .

ماتت إجابة "سكاي" على شفتيها ونظرت لصديقتها في مكر .

– ربما أنا كذلك في هذا الشأن .

أنزلت "لين" نفسها بصعوبة في المقعد المتسع ويداها تسندان وزنها فوق سندي المقعد ، قالت :

– أعرف أنني أستطيع أن أوقظ بعض الرشد عندك لو ظللت ألح في ذلك يا "سكاي" ، لقد حاولت أن تسعدي الناس في المستوطنة كل أيام حياتك وحان الوقت لأن تنتبهي لمشاعرك الخاصة .

– ولكني لا أستطيع أن أتصور مشاعري بوضوح .

– حسنا أنا أستطيع .

بدا حملها متقدما عن آخر مرة رأتها فيها "سكاي" وأصبحت دون شك في المرحلة غير المريحة الآن . ومع ذلك ظلت في حالة استغراب بالنسبة إلى صديقتها .

– أعرف علم اليقين أنك منجذبة نحو "كول" وهو أمر واضح وضوح النهار كلما تحدثت عنه وأقول لك لابد أن تدعي الأمر يحدث .

– ولكنه صاحب "دنتون" للمنتجعات والجميع يكرهونه .

– لا أعتقد أنه بهذه الدرجة من السوء . أتعرفين أن "بوب" حصل على وظيفة عنده ؟

مالت للأمام في دهشة .

– لابد أنك تمزحين .

هزت المرأة الشقراء رأسها .

– لا . لقد علق السيد "دنتون" إعلانا في الأسبوع الماضي يطلب فيه عمالا . وطلبت من "بوب" أن يذهب ويقدم طلبا . لم يرغب في البداية وأنت تعرفين أنه كان يخشى أن يغضب منه الجميع لعمله في الموقع ولكن

نظرا لقرب وصول الطفل في أي لحظة فإننا حقا في حاجة إلى النقود .

– وما رأيه ؟

– إنه يقول إن العمل جيد وقد عمل جاهدا والسيد "دنتون" متأكد من ذلك ولكنه رئيس عمل عادل . وفي أحد الأيام تأخر "بوب" عن العمل لأنني كنت أحس بتعب حتى إنه قام بتنظيف الأطفال وأخذهم إلى أمي . ظننت أنه بالتأكيد قد فقد الوظيفة حيث كان ذلك أول أسبوع له ولكنه عندما شرح الأمر للسيد "دنتون" وما حدث كان طيبا فعلا وأخبر "بوب" أن ينال ساعة زيادة في الغداء ويعود إليه .

– حقا ؟

أومأت "لين" .

– إن بعض الناس لا يزالون يكرهون منتجعات "دنتون" ولكني سعيدة لأنهم هنا الآن ،ويبدو أن "بوب" سينال وظيفة دائمة أخيرا ونستطيع أن نبقى فوق الجبل ، فحصت "سكاي" قدح قهوتها بإمعان . إذن "كول" وضع لافتة الحاجة للعمال على أية حال . تساءلت إن كان اقتراحها كان له هذا التأثير . إنها لم تر "كول" منذ أكثر من أسبوع منذ تلك الليلة التي حاصرته فيها الثلوج في كبينتها وافترقا غاضبين . كل ما تعرفه أنه لا يزال غاضبا منها .

– هل لا زلت سارحة مرة أخرى يا "سكاي" ؟

استدارت نحو صديقتها واعترفت :

– أظن ذلك .. ماذا قلت ؟

– لقد قلت إنه يجب عليك أن تذهبي مباشرة وتصالحي السيد "دنتون" وتخرجين معه ..

– ولكنه سيظل هنا مدة شهر أو اثنين فقط فماذا أصنع عندما يرحل ؟ ثم إنني لا أعرف إن كان يريد رؤيتي .

قالت "لين" في ثقة :

– أراهن أنه يريد . أما بالنسبة لرحيله فقد يصحبك معه .

حدقت "سكاي" إلى صديقتها وهي دهشة :

– لا يمكن أن أترك الجبل أبدا .

www.elromancia.com

– ولم لا ؟

– أنت تعرفين لماذا . إنني أكره المدينة والناس هنا يحتاجونني .

قالت "لين" وهي تفكر :

– هذا أمر مؤكد حسنا .. ربما سيمكث هنا ويدير منطقة المنتجع .

ضحكت "سكاي" ضحكة قصيرة .

– لا توجد فرصة .. إنه يظن أننا نحن الاثنين غريبا الأطوار .. إنه يتحرق شوقا أن يرحل من هنا .

قالت "لين" معترفة :

– حسنا إذا كنتما تحبان بعضكما فستصلان إلى حل .

– ومن قال شيئا عن الحب ؟ إنه يريد جسدي وهذا كل ما في الأمر . لا يوجد شيء طويل المدى في ذلك ، إنه فقط يريد امرأة تبقيه سعيدا في أثناء وجوده هنا .

رفعت المرأة الشقراء حاجبيها .

– إنك تشعرين بالمرارة .

أنكرت ذلك "سكاي" بسرعة :

– لست كذلك كل ما هنا لك أنني أحاول أن أشرح لماذا لا أريد التورط معه ؟

– إنك منطقية جدا في هذا الأمر وما عليك إلا أن تأخذي كل شيء في وقته .

صممت "سكاي" على تحويل الحادثة لاتجاه مختلف . سألت :

– هل رأيت "توم" مؤخرا ؟

كانت قد أخبرت "لين" حول أمسيتهما العاصفة معا .

– بالتأكيد رأيته . إنه واحد ممن يسببون الضيق لـ"بوب" لقبوله الوظيفة في منتجعات "دنتون" ،وهو ينظر إلى الأمر على أنه خيانة للمستوطنة . في الحقيقة أنني قلقة بعض الشيء من الأمر كله وأعتقد أن بعض الرجال غاضبون لدرجة يمكن أن يفعلوا أكثر من الكتابة بالطلاء .

– هل تظنين أن "بوب" متورط في هذه الأعمال ؟

– ليس بطريقة مباشرة ولكنه يشعر بالمرارة والجميع يعرف ذلك . إن

الشباب الأصغر منه سنا يتطلعون إليه ويمكن أن يفعلوا أعمالا مجنونة معتقدين أن ذلك من أجل إرضاء "توم" .

أومأت "سكاي" موافقة واستمرت "لين" :

– على أية حال إنني قلقة من عمل "بوب" مع تلك الآلات هناك ولا أستطيع أن أطمئن نفسي أنها ليست خطرة .

– لا تمزحي !

ظلت "سكاي" صامتة لحظات ثم نهضت ورحلت وكلها أفكار

*****

وجدت "سكاي" نفسها في صباح اليوم التالي مبكرة في القرية ومعها بعض اللوحات في حقيبتها . كانت قد هبطت الجبل جريا كشأنها غالبا لمجرد التمتع بذلك على الرغم من عدم مطاردة "توم" لها أو أي من سكان المستوطنة .أحست بالندم على الرغم من أنها كانت أساسا سعيدة أن اللعبة انتهى عهدها .

لقد تغير الزمن أرادت أم لم ترد .عندما خرجت من محل التذكارات أخذت تعد النقود في سعادة . لم يسبق لها أن حصلت على مثل هذا القدر من النقود عن اللوحات من قبل .

– إنك تبدين سعيدة هذا الصباح !

دارت حول نفسها بسرعة ونظرت في اتجاه الصوت .

– هاي "كول" !

ترددت لحظات قبل أن تذهب إلى المائدة التي كان يجلس أمامها وأحست ببعض الخجل من ناحية بسبب التوتر الذي افترقا معه من قبل ومن ناحية أخرى لأنها كانت تفكر في نصيحة "لين" أن تستمر في علاقتها مع "كول" وتواعده . سألها :

– لماذا هذه الابتسامة ؟

مدت يدها برزمة الأوراق المالية .

– انظر ! إنني حصلت على مال وفير من لوحاتي .

www.elromancia.com

– أي نوع من اللوحات .

هزت كتفيها :

– مناظر طبيعية معظمها بالفحم والسياح يحبونها .

قال ويشوب صوته بعض الخداع :

– إذن كلما زاد عدد السياح كلما زاد نجاحك .

كانت سعيدة ولا تريد أن تنزلق في جدال معه .

– هذا صحيح . ربما أصبح غنية عن طريق منتجعات "دنتون" . ابتسم كل منهما للآخر لحظات طويلة ثم أبعد كل منهما نظره عن الآخر . كان "كول" لا يزال مبتسما وسألها :

– إذن . . هل لديك خطط لهذا المساء ؟

هزت رأسها نفيا :

– ما رأيك في الخروج معي لتناول العشاء ؟

– في مطعم "دوتس" ؟

كان دوتس" هو المطعم الوحيد في القرية .

– أوه . . ربما لا ما رأيك في أن نذهب بالسيارة إلى "كولورادو سبرنجز" من أجل وجبة رائعة ؟ لنقل في مطعم "برووديمور" .

ترددت . كان العرض مغريا ونادرا ما غادرت المستوطنة حاليا وقد يكون من المثير أن تزور المدينة ليلة واحدة بغض النظر عن كرهها للمدن بصفة عامة . وقد يكون الأمر أكثر إثارة لو قضيت أمسية خاصة مع "كول دنتون" . وعلى الرغم من الوقت الذي قضياه معا لم تعرفه كما تحب . ومن ناحية أخرى لم تكن متأكدة بعد إن كانت تريد أن تزداد علاقتها به عمقا . قال بصوت قلد فيه تماما صوت طفل يتوسل لأمه لتعطيه قطعة حلوى :

– هيا . . من فضلك !

– حسنا . . سأذهب .

– سأمر عليك في السادسة .

عندما رأت نظرة عيني "كول" وهي تفتح الباب سعدت لأنها قررت أن ترتدي أبهى ملابسها وزينتها . كانت قد كوت الثوب الحريري الوردي وهو أشيك قطعة ملابس عندها ، كما سبق أن غسلت شعرها وجعدته

.ندمت لأنها لا تملك المجوهرات التي تكمل بها زينتها ولكن عينيه أخبرتاها بأنها تبدو فاتنة بالنسبة إليه . أخذا يثرثران في سهولة طوال مدة الرحلة ، وأخبرها "كول" عن دوره في مشروعات "دنتون" ، وعلمت أنه تولى العمل بعد وفاة والده واكتشف أن المؤسسة تعاني مشاكل مالية ملحة .

– لقد قررت أنا وأمي و"جون" أخي أننا نحتاج للتخصص وقد توليت أنا قطاع المنتجعات الترفيهية . لقد ظن "جون" أن مشروع "كروكد فورك" قد يكون الدفعة التي تحتاجها مشروعات "دنتون" . إنه أكبر عقودنا حتى الآن وإذا نجحنا في إرضاء عملائنا فإن سمعتنا ستصعد إلى عنان السماء .

– ولكنك قلق ؟

أومأ موافقا :

– إن المعارضة تحول تقدمنا وتؤخرنا عن مواعيد التسليم .

– إن بعض رجال المستوطنة بدأوا يغيرون فكرهم حول "دنتون" .أخبرته عن الحديث الذي دار بينها وبين "لين" . قال إن "بوب" يبدو عاملا ممتازا وأنا مدين لك بفكرة الحصول على بعض العمال المحليين في المشروع .

لقد استأجرنا ستة رجال وهم يؤدون عملا جيدا ولكني لا زلت مشغولا بالتخريب .

– هل واجهت بعض المشاكل ؟

– بعضها . . لا يوجد ما هو خطير ولكن الكثير من المعدات عطلت وأظن أن هناك شخصا يتسلل ليلا ويعبث بالآلات .

تجهمت "سكاي" وهي تفكر فيما قالته "لين" حول مجموعة الشباب الأصغر سنا الذين يلتفون حول "توم" وقد يكونون وراء ما يحدث ولكنها لم ترد أن تتهمهم ظلما ، لذا لم تذكر هذا الاحتمال لـ"كول" .

– انظري . . لقد أوشكنا على الوصول .

صعدا مرتفعا وسط المنظر الطبيعي الممتد ورأيا أنوار مدينة "كولورادو" تظهر وسط الغسق المتقدم مع ظلال الجبال كخلفية وبدت المدينة مدينة الخيال . قالت بعد لحظة :

– إنها جميلة !

– إن للمدن لحظاتها الجميلة أيضا خصوصا في الليل عندما لا يشوب الجو أي تلوث أو غبار .

دخلا الفندق القديم الضخم بعد عدة دقائق وأخذت "سكاي" تشيع نظرها بالمناظر من تحف بضوي فوق رأسها والزخارف الغريبة ، وغاصت قدماها في السجاد السميك .أمسك "كول" بذراعها وقادها عبر الحجرة الفاخرة وسرعان ما جلسا أمام مائدة مغطاة بالمفرش تطل على بحيرة تعلوها السماء المليئة بالنجوم . قالت معترفة وهي تبتسم لـ"كول" :

– إنني أحس وكأنني فارة ريفية صغيرة . إن هذا المكان فاخر .

قال :

– إنك مناسبة لهذا المكان تماما كما لو كنت فوق الجبل أنت تخشين أن تتمتعي برد فعلك للأشياء .

احمر وجهها خجلا وهي تحس بالدفء داخلها ونظرت في قائمة الطعام . كانت البطة التي طلبتها بناء على توصية من "كول" لذيذة وسقطا في صمت عاطفي وهما يتناولان عشاءهما . قالت "سكاي" أخيرا:

– يا إلهي ! كم هي دسمة ولكنها لذيذة .

عاكسها وهو ينظر إلى طبقها الذي كان شبه خال .

– لقد أديت مهمة ممتازة كما أرى !

قالت ضاحكة :

– إنني أحب الأكل فعلا ومن حسن حظي أنني أقوم بكثير من التمرينات الرياضية في هبوط الجبل وصعوده وإلا أصبحت بدينة – سيحدث ذلك يوما ما .

عندما رفع الساقي الأطباق تسلل صوت موسيقى التانجو من الحجرة الأخرى . لوت رقبتها بحثا عن مصدر الموسيقى ورأت عدة أزواج يرقصون . صاحت .

– إن هذا يبدو ممتعا .

أحست بالخجل . كان عليها أن تنتظر حتى يطلب منها ذلك .

– دعينا نحاول .

عندما نهضت جعلتها فكرة وجودها بين ذراعيه ترتجف .

– لقد كنت أرقص قليلا ولست واثقة بمهارتي .

– ولا أنا إذن فنحن راقصان غير ماهرين مناسبين .

عندما وصلا حلبة الرقص وقفت "سكاي" بجوار النافذة حتى ترى القمر يظهر من بين السحب . قالت :

– لا .. لا أتعشم ألا يعني القمر كاملا أن "لين" ستضع مولودها الليلة . سألها :

– ولماذا يجب أن تضعه الليلة ؟

قالت وهي دهشة من أنه لا يعرف ما يعرفه كل طفل فوق الجبل: – كل ما هناك أنه من المتوقع حدوثه أكثر من أي وقت آخر .. إن القمر عندما يصبح بدرا يساعد على الولادة .

– المزيد من المعتقدات الشعبية ؟

– ألا تصدق ذلك ؟ راجع الإحصاءات أحيانا .

– هيا بنا أريد أن أرقص . إنني لا أقصد السخرية منك .

زال ضيقها المؤقت وسط الموسيقى الرقيقة وضوء القمر وتحت قيادته اللطيفة التي أثبتت مهارته الشديدة في الرقص .

– موسيقى لطيفة أليس كذلك ؟

هزت رأسها موافقة وهي تتذكر موسيقى الجاز .

– لست أدري .. أعتقد أنها بطيئة نوعا ما . لست أدري .قال :

– إنك تجعليني أشعر بتقدم سني أيتها السيدة الصغيرة أي نوع من الموسيقى تحبين ؟ الصاخبة من الآلات الثقيلة ؟

قالت وهي تضحك في وجهه :

– في الحقيقة أحب موسيقى الجاز .. إننا غالبا لا نسمع آخر مبتكرات موسيقى الروك على الجبال .

قهقه وضمها أكثر إليه . ظلا يرقصان معا ويهتزان مدة طويلة وقد اكتسحها الشعور بوجودها بين ذراعيه فإن العالم كله بهت إلى جواره . همس "كول" برقة في أذنها :

– إنني أشعر بسعادة وأنت بين ذراعي يا حبيبتي .

بينما تسمع همسه المدلل لها تنهدت وعندما تكون بين ذراعيه لا تريد

www.elromancia.com

أي شيء آخر من العالم . كان شعورا بالامتلاء لم تعرف مثله من قبل وكان عمقه يخيفها . عندما انتهت الأغنية تركها على مضض وإن ظل قابضا بشدة على يدها وقال بصوت رقيق :

– من الصعب علي أن أدعك تهربين من ذراعي .

رفعت نظرها إليه وهي تتساءل عن نوع العاطفة التي لمعت في عمق عينيه الرماديتين . كانت مشاعرها الخاصة قد ازدادت عمقا بدرجة خطيرة وسرعان ما أبعدت نظرها .سألها :

– الا زلت خائفة يا "سكاي" ؟

لم تجب وماذا يمكنها أن تجيب به ؟ كانت خائفة من نفسها أكثر منه. لو كان الأمر مجرد مسالة عواطف لاستطاعت التعامل معها . ولكنها كانت تخشى أن رغباتها التي تزداد عمقا يمكن أن تقودها إلى سلوك تندم عليه فيما بعد . رفعت نظرها لتجده يحدق إليها عن قرب وبإمعان وفي عينيه تعبير لا تستطيع سبر أغواره .

– هل تريدين الرقص مرة أخرى أم تفضلين التجول حول الفندق ومشاهدة ما تعرضه محلاته قبل أن تغلق أبوابها ؟

قالت :

– أظن المحلات أفضل .

كان ذلك يعطيها الفرصة كي تتحكم في مشاعرها خارج مملكة ذراعيه.

ضحك .

– هذا ما ظننت أنك ستقولينه .

قادها خارج حلبة الرقص إلى حيث مرا خلال دهليز مضاء بشدة .

وعلى الرغم أن الوقت كان متاخرا فإن معظم محلات الفندق كانت مضاءة بإبهار وأدهشها أن عددا كبيرا من الناس كانوا يتجولون ويتسوقون . ابتسم "كول" عندما رآها تفحص كل شيء في الڤترينات . صاحت :

– انظر إلى هذه يا "كول" إنها مثل "كرونوس" انحنى ليفحص التمثال الصغير لغراب على وشك الهبوط وسألها :

من هو "كرونوس" ؟

– أوه إنني أنسى أنك لا تعرف هذه الأشياء . شرحت له حكاية الطائر

التي عثرت عليه هي وجدتها واحتفظت به ،أكملت وهي تشير إلى حيوان خشبي .

– أوه انظر .. هناك رجل في المستوطنة يصنع مثل هذه الأشياء – يمكننا الدخول .. أليس كذلك ؟

عندما سمعت ضحكته المكتومة نظرت إليه بسرعة :

– ما المضحك لهذه الدرجة ؟

– إنني لم أشاهدك من قبل في بيئة المدينة . لقد ظننت دائما أنك شخص من النوع الطبيعي ولكنك يمكن أن تصبحي مثل نساء المدينة عند موضوع الشراء .

قالت وهي تضحك :

– أنت على حق .. إنني لا أذهب إلى المحال غالبا ولكني أشعر بالحماس بالنسبة لما أحتاج إليه . هيا بنا دعنا ندخل ونشاهد .

جذبته من كمه . بعد فترة قليلة بدأت أنوار المحلات تخفت فسألته :

– هل سيغلقونها بسرعة .. أوه لا .

أومأ برأسه :

– دعينا نرقص رقصة أخيرة قبل أن نعود إلى حياة الريف عندما اتجها إلى حلبة الرقص مرة ثانية ويدها في يده نظرت إليه في فضول .

– إنك حقا لا تحب أن تبتعد إلى حياة الريف ؟

– إنها لم تكن بالسوء الذي توقعته .

– ولكنها ليست جيدة ؟

استدار إليها عند حافة حلبة الرقص وأخذها بين ذراعيه عندما بدأت الموسيقى تعزف وأخذا يتمايلان عليها :

– إنني أشعر شعورا رهيبا بأنني معزول هنا .. إننا بعيدون عن حركة العالم .. هذا هو ما أشعر به معزولا ولكن ليس كذلك طالما كنت معك .

كان شعورها سعيدا لأنها تستطيع أن تخفف من وحدته .

– إن المدينة ليست سيئة طالما كنت أنت بها .

بدأ يحس حيرتها خاصة عندما بدأت تتوقف عن الرقص فخفف من قبضة ذراعيه حولها وقال :

– حسنا يا حلوتي دعينا نرقص .

عندما أخذا يتارجحان ثانية وضعت رأسها على كتفه وهي تتمتع بإحساس أنه يقود خطواتها .

عندما انتهت الرقصة قبل جبهتها فارتجفت حتى أقل لمسة منه تجعلها تشعر بالضعف . قال :

– لقد حان الوقت لنعود .

سارا في تردد خلال الدهليز المبهر وقد تركزت عينا "سكاي" على الرجل بجوارها أكثر من محتويات الفندق المبهرة . كانت بعض الشعيرات البيضاء القليلة عند فوديه قد جعلته أكثر جاذبية بينما رققت الأمسية المريحة من الخطوط العميقة على وجهه وقد بدا مسترخيا .

– أحس أنني تحت "الميكروسكوب" .

قالت وهي تحس بالحمرة تصعد خديها :

– آسفة .

– لا بأس – فقط اتمنى أن أعرف ماذا تظنين عندما تنظرين إلي بهذه الطريقة .

ابتسمت له :

– هذا سري .

قاد "كول" السيارة وسط طرق الجبال ببطء إلى حد ما لأن الليل تقدم وعلى الرغم من أن القمر الكامل كان يرسل نوره الفضي على الأرض الواسعة فإن الطرق كانت ضيقة وتتطلب منتهى الحذر . أوشكت الساعة على الثانية عندما اوقف السيارة أمام الكبينة .

– أود أن أدخل واتحدث معك يا "سكاي" ولكن الوقت متأخر جدا .

ابتسمت له وأحست بالخلاص لأنه اتخذ قرارا بدلا منها وإن أحست في نفس الوقت بألم الندم عندما تراه يقود سيارته مبتعدا وسط الليل .

– على الأقل ساصحبك إلى الباب .

نزل من السيارة ودار حولها وجاء إلى جوارها بسرعة نظر إليها عند عتبة الباب وسالته :

– هل أمضيت وقتا طيبا الليلة ؟

كان رده مصحوبا بابتسامة عريضة :

– لقد تمتعت بها . نعم معظم الوقت .

احتارت أمام اختياره للكلمات فسالته :

– ماذا هناك يا "كول" ؟

– إن الخطأ هو أنني أجد الأمر مثيرا للغيظ والإحباط عندما أكون بجوارك وتصيبني بعض الأفكار المجنونة أن أخطفك إلى إحدى الجزر البعيدة حيث تصبحين كلك لي .

– "كول" !

قال بصوت حاد :

– كل ما هناك أنني صريح . أنت امرأة شابة وجميلة في الداخل والخارج .. ومن الأفضل أن أرحل من هنا قبل أن تسيطر علي غرائزي اللعينة .

راقبته من الداخل خلال الباب الزجاجي وهو يعود بخطوات سريعة إلى سيارته . هدر صوت المحرك عاليا وأضاء الكشافات الأمامية للسيارة . فجأة رأت جسما صغيرا يندفع أمام بريق الكشافات الأصفر فصرخت :

– انتبه يا "كول" .

ولكنه لم يستطع أن يسمعها عندما حرك السيارة بدأ يسير للأمام ولكنه توقف فجأة عندما رأى الطفل الصغير تغطيه أنوار الكشافات . قفز "كول" في الحال خارج السيارة :

– يا للسماء .. عمن تبحث أيها الصغير ؟

– "سكاي" .. أين "سكاي" ؟

جاءت من الفناء وظنت أنها تعرفت على أكبر أبناء "لين" وإن كان من الصعب أن تميز في ضوء القمر .

– "جيسون" ؟ هل هذا أنت ؟

صاح الطفل وهو يجري نحوها والقى بنفسه بين ذراعيها .

– نعم إنه أنا .. أنا خائف .

– بالتأكيد أنت خائف كيف تحضر إلى هنا وسط الجبل في هذا الوقت .. ماذا هناك ؟

أخذ ينهنه بصوت عال :

– إن أمي ظلت تكرر إنها تريدك هناك ثم بدأت تتألم بالداخل وجعلني أبي أخرج حتى لا أراها وهي تبكي ولكني لا زلت أسمعها .

انفجر في الولولة . جثا "كول" بجوارهما واستخدم منديله ليمسح وجه الطفل وسأل :

– ماذا تظنين حدث معها يا "سكاي" .

قالت وهي تستدير إلى الطفل :

– أخشى أنها في حالة وضع .. "جيسون" هل سمعت والدك أو والدتك يقولان شيئا عن الذهاب للمستشفى ؟

– لقد أراد والدي أن يأخذها ولكن أمي رفضت وظلت تسأل عنك .

وقفت "سكاي" بسرعة ورفعت الطفل على كتفها .

– هل يمكن يا "كول" أن تنقلني بالسيارة إلى المستوطنة ؟

– بالتأكيد .

في دقائق كانوا أمام بيت "لين" القديم الأبيض أخذ "كول" "جيسون" النعسان من "سكاي" وجلس على العتبة في الفناء بينما أسرعت "سكاي" بالدخول من الباب غير المغلق . سألت الرجل الشاحب الذي ظهر من حجرة النوم :

– كيف حالها يا "بوب" ؟

– "سكاي" ! حمدا لله أنك هنا .

ألقت "سكاي" نظرة خلال باب حجرة النوم فعرفت أن "لين" تعاني آلام المخاض وقد أغلقت عينيها وبدت تستريح . استدارت نحو "بوب" الذي قال :

– أنا قلق عليها .

– لماذا هي هنا .. لماذا لم تذهب للمستشفى ؟

هز "بوب" رأسه :

– إنها لا تريد الذهاب على الإطلاق . لقد أخفت أنها في حالة وضع إلى ساعتين فقط وأخشى أن الوقت قد فات .

هزت "سكاي" رأسها :

– ولكن هذا خطر جدا .. لقد عدت للبيت لتوي ولم أكن لأعلم ما

حدث لولا أن "جيسون" جاء إلى بيتي .

صفق "بوب" بيديه على جبهته :

– هل ذهب "جيسون" إلى هناك بمفرده ؟ لقد أخبرته أن يذهب لجدته كي تحضرك .. هل هو بخير ؟

– إنه بخير لكن يا "بوب" لابد أن تحاول نقل "لين" إلى المستشفى . إنني أشعر شعورا سيئا حول محاولة توليدها بنفسي

– ولكنك فعلت ذلك من قبل .

– نعم أعرف ولكن هناك ما يقلقني هذه المرة دعني ألقي نظرة عليها ونرى ما سنفعله .

دخلت غرفة النوم عندما فتحت "لين" عينيها قالت المرأة الشقراء في ضعف :

– "سكاي" ! أعرف أنك ستحضرين .

تقلص وجهها أمام نوبة من نوبات الانقباض . أمسكت "سكاي" بيدها وهي تهمس لها كلمات تدليل حتى مرت .

– ما المدة الزمنية بين كل انقباض وآخر ؟

– عشر دقائق ولكنها مختلفة عن السابقة فإنني أشعر بانقباضين معا ...

قطعت كلامها حيث انتابتها نوبة جديدة . أمسكت "سكاي" بيدها إلى أن انتهت الطلقة .

– استريحي دقائق وسأتكلم مع "بوب" .

أومأت "لين" برأسها في ضعف وأغلقت عينيها .

فحصتها "سكاي" لحظات ولاحظت مدى شحوبها .لقد بدت ضعيفة وهشة لدرجة مخيفة وأمامها مهمة شاقة عليها أن تجتازها .

تتبعت صوت الرجال إلى الفناء حيث كان "كول" و"بوب" واقفين يثرثران في حين استلقى "جيسون" نائما فوق عتبة الباب . عندما سمعاها آتية دار الرجلان ليواجهاها . قالت لهما :

– أعتقد أنه يجب نقلها إلى مستشفى "هاي ميزا" . إنها تعاني انقباضا مزدوجا ولا أحب لون بشرتها . قال "بوب" وقد شحب وجهه أكثر من وجه "لين" :

– أوه .. لا .. هل ستكون بخير ؟ هل هي في مشكلة ؟ أوه يا إلهي ! لو فقدتها .

قالت "سكاي" بحدة :

– إنك لن تفقدها ولكن من الأفضل أن نشغل أنفسنا ونسرع إلى المستشفى .

سأل "كول" :

– هل هناك وقت ؟

أومأت موافقة :

– هناك وقت على الرغم من أنه كان من الأفضل لو نقلناها قبل الآن .. إنها ستعاني الكثير .

دخلت "سكاي" لتقنع "لين" أن المستشفى هو أفضل مكان لها بينما نقل "بوب" و"كول" الطفلين إلى منزل والدة "لين" . عندما عادا كانت "سكاي" قد أقنعت "لين" بالذهاب إلى المستشفى وأصر "كول" على القيادة لأن سيارته كانت أكبر .

بعد أن فحص الطبيب "لين" خرج من الحجرة وسار مباشرة إلى "سكاي" .

– هل أنت القابلة في "كروكد فورك" ؟

أومأت موافقة :

– كيف حالها يا دكتور ؟

– لقد أحسنت بإحضارها إلى هنا . لدي شعور بأنها ستعاني طويلا هنا وأفضل لو أعطيتها شيئا يخفف الألم .

عندما استغرقت "لين" في شبه إغماء خرج الطبيب مع "سكاي" و"بوب" إلى البهو وقال :

– أشك أن الطفل في وضع مقلوب وسأنتظر بعض الوقت ثم أجري عملية قيصرية .

ارتجفت "سكاي" وهي تفكر فيما يمكن أن يحدث لو حاولت توليد الطفل بنفسها .لم يكن أمامهم من هذه اللحظة سوى الانتظار . اصطحب "كول" "بوب" إلى مكان ما لتناول القهوة بينما جلست "سكاي" مع

"لين" وهي تتحدث في هدوء وعندما عاد الرجلان لاحظت أن "بوب" استرخى . عندما أخذت "سكاي" فترة راحة وغاصت في مقعد بحجرة الانتظار بجوار "كول" بينما جلس "بوب" مع زوجته . قال "كول" :

– لقد كنت ذكية في إحضارها إلى هنا .. كيف عرفت ذلك ؟

– مجرد إحساس .

– ماذا تعنين بالضبط ؟

– لقد كان لون بشرتها سيئا كما أنها كانت تشعر بالغثيان . إن الحمل الصعب يعني ولادة عسرة ثم إن الانقباض المزدوج جعلني أقلق لأنه متعب للغاية .

– إذن فإن إحساسك مبني على الأشياء التي لاحظتها ،أمور جسدية لدى "لين" ؟

– أعتقد ذلك .

نجهم وهو يفكر :

– ولكنك ولدت "لين" في طفليها الآخرين ؟

أومأت :

– لقد ولد "جيسون" عندما كانت جدتي لا زالت على قيد الحياة لذا قمنا بالعملية معا .

– إن ما يثير استغرابي أن امرأة في الثانية والعشرين من عمرها لديها كل هذه الخبرة .

– لقد كان الجميع يتوقعون ذلك مني لذا كنت مضطرة .

– وهل تحبين ذلك ؟

دلكت ظهر رقبتها بيدها وهي تفكر وقالت :

– إن التوليد عمل رائع عندما يسير كل شيء على ما يرام وهو أمر جميل أن ترى الآباء لأول مرة وهم يتمسكون بالحياة الجديدة بين يديك . ولكن هناك أوقاتا عندما يحدث سوء وعندها يجتاحك شعور رهيب وكثيرا ما أتساءل هل في إمكاني شيء آخر أفعله لأجعل الأمر أسهل لو عرفت أكثر .

– هل فكرت في أن تصبحي طبيبة أو ممرضة ؟

www.elromancia.com

أومأت موافقة :

– عندما ذهبت إلى الكلية كانت هذه خطتي أن أكون ممرضة ممارسة وبهذه الطريقة أكون قد تدربت أفضل على أداء الكثير مما أفعله الآن بمهارة كما أن التعليم لأصبح طبيبة يستلزم وقتا طويلا غير متاح لي . قال:

– لابد أن تفكري في العودة . إن لديك موهبة تخفيف آلام الناس ولو ضممت ذلك إلى بعض التعليم . قالت :

– ولكن أين الوقت والمال اللازمان ؟ لست أدري .

قطع تعليقها "بوب" وقال وهو يسير نحوهما :

– إنهم سيقومون بإجراء العملية القيصرية ولكني أتمنى لو ألقيت نظرة عليها قبل أن يقوموا بإجرائها .

سارعت "سكاي" في الحال وجلست بجوار صديقتها .

– كيف تشعرين يا حبيبتي ؟

امتعضت "لين" وقالت :

– رهيب – إنني لا زلت أعاني نفس الانقباضات السابقة . وضعت "سكاي" يدها على بطن "لين" المنتفخ وأحست الحياة الجديدة داخلها فقالت برقة :

– لا تخافي يا حبيبتي .. سنخلصك بأية طريقة ..

قهقهت "لين" ثم تأوهت :

– إنني سعيدة لأنك هنا .

دخل الطبيب ، بعدها حملوا "لين" إلى حجرة أخرى . انضمت "سكاي" إلى "كول" و"بوب" وقد أفلتت منها زفرة ألم .

سأل "كول" :

– هل تحسين بالإرهاق ؟

– قليلا وأنا سعيدة لأنها هنا ولكن سيفوتني رؤية الطفل وهو يولد .

بعد وقت بدا طويلا جدا خرج الطبيب وأشار إلى "بوب" وبعد لحظات خرج "بوب" من حجرة زوجته وهو سعيد .

– لقد حصلت على ولد صغير آخر وزوجة نائمة في صحة جيدة . قال "كول" :

– أنت رجل سعيد جدا ومحظوظ .

هنأته "سكاي" وهي تتساءل عن اللهجة الحزينة في صوت "كول" .

قال بوب" :

– يجب أن تذهبا إلى البيت وسأظل هنا طوال اليوم ،هذا إذا سمحت لي باليوم إجازة ؟

ابتسم "كول" وقال :

– بالتأكيد .

رحل مع "سكاي" وهو يتلقى شكر "بوب" .

وضع "كول" ربطة صغيرة في يد "سكاي" وهما في الممر المغطى بالحصى أمام كبينتها :

– هاك ! لقد نسيت أن أعطيها لك من قبل .أخذت تحل الورق حول الربطة في عصبية لتجد التمثال الصغير للغراب الأسود الذي أعجبت به من قبل في محل الهدايا ،صاحت وهي تقلب التمثال في يديها :

– أوه .. لم يكن من الضروري يا "كول" أن تفعل ذلك ، إنه أكثر شبها بالحقيقة أكثر مما كنت أعتقد ، ولكن متي استطعت أن تحصل عليه دون أن أراك ؟

ضحك "كول" :

– لقد أتيحت لي فرص كثيرة فقد كنت منهمكة للغاية في مشترياتك فلم أجد صعوبة في إخفاء الأمر ،هيا احصلي على بعض الراحة يا"سكاي" فقد مررت بليلة طويلة . قالت :

– وأنت كذلك .. لقد كان كرما منك أن نقلتنا إلى المستشفى. خرج من السيارة وفتح الباب لها وهو يقول :

– إنها عائلة لطيفة .. هيا اذهبي للنوم .

ولكن النوم لم يأتها بسرعة . لقد أحست إحساسا جديدا عليها هو مزيج من الإثارة والخوف مما جعلها تتململ بلا راحة ،ولم تستطع أن تنزع صورة "كول" من عقلها . غير أن صوتا داخلها ظل يضايقها ويردد "لا تعتمدي عليه" . كانت تحس أنه يبعد جزءا منه عنها إنه لم يتحدث أبدا عن مشاعره أو مستقبله . سواء كان ذلك حذراً من أهل المدينة أو ألما

وجرحا سابقا فإنه من الواضح أنه لا يهتم بعلاقة طويلة دائمة معها . ولكن عندما تفكر في الطريقة التي نظر بها إليها فإن الإثارة تعود إليها ،ولم تستطع أن تمنع نفسها من الإحساس بأن شيئا أكثر سيحدث بينهما قبل أن ينتهي كل شيء . قالت لنفسها : ما لم أحصل على بعض الراحة .. لكمت وسادتها ولكن ساعات طويلة مرت قبل أن تنام .

الفصل السادس

كانت تجري وتجري هابطة الجبل لمجرد المتعة وهي تتجنب الأشجار ونباتات الصبار الشائكة وعيناها يقظتان للحيات والأخطار الأخرى . وكانت لوحاتها في أمان داخل حقيبتها وأحست بإثارة المطاردة حتى ولو لم يكن أحد يطاردها .

تساءلت هل يمكن "كول" أن يلحق بها حقا كما ادعى في إحدى المرات؟لم تكن رأته منذ عدة أيام منذ ليلة ولادة ابن "لين" ولكنه احتل أفكارها باستمرار . كانت قد وضعت تمثال الغراب فوق مائدة الطعام ووجدت نفسها في كل وجبة تفكر في الرجل الذي اشتراه لها .

لقد كان طيبا معها في تلك الليلة . لم يكن مضطرا كي يضيع وقته معها ومع "لين" و"بوب" وكان من الممكن أن يتركهم ببساطة يتصرفون بمفردهم . لقد ارتفعت قيمة رأيها فيه عندما رأت قوة أعصابه وقلبه الحنون في أثناء الموقف المتوتر .

لم يكن فعلا ذلك المدير التنفيذي صلب القلب الذي ظنته في البداية .

استغرقت في أفكارها ولا تكاد تنتبه إلى ما يحيطها كانت تناور وتتجنب الثقوب والحفر التي صنعتها الحيوانات والأشجار الشائكة التي نمت على سفح الجبل بمهارة اكتسبتها من خبرة سنوات طويلة وهي تعلم أن "توم زبل" لا يطاردها بعد ذلك مما أشعرها بالأمان .

– لماذا هذا الاستعجال أيتها السيدة ؟

وخطت في الحال عند سماعها ذلك الصوت القاسي وبنظرة واحدة على الوجه الخبيث أمامها جعلها تدرك أنها كانت غير حريصة على الإطلاق .

مرت بعيدا عن طريق الرجل ونظرت حولها بسرعة وهي تحدد طريق هروبها . كانت متأكدة أنها تستطيع أن تسبق هذا الرفيق المزعج وما عليها إلا أن تختار اللحظة المناسبة . قال وهو يستدير نصف دورة :

– فقط اهدئي فلن تذهبي إلى أي مكان .. تعالوا يا أولاد لقد أمسكنا بها أخيرا .

برز رجلان آخران من بين الأشجار واتسعت عينا "سكاي" من الخوف . كان أحدهم يمسك بحبل طويل بينما كان في جيب الآخر شيء متضخم يشبه المسدس .

– ماذا .. ماذا تريدون ؟

قال الرجل الأول بصوت ممطوط :

– حسنا .. هذا يعتمد .. كبداية تعطينا حقيبتك .

ترددت .. لقد كان بها القليل من النقود ولكن اللوحات كانت مهمة جدا كي تحارب من أجلها .

– ليست لدي أية نقود !

– سنرى ذلك بأنفسنا .

اقترب الرجل منها وأمسك بالحقيبة . أرعبها صوته الخشن فتركتها له دون مقاومة .

أخذ ينبش فيها بسرعة بينما راقبها الرجلان الآخران . قال في امتعاض عندما أخرج الورقة ذات الخمسة دولارات .

– هذه لا تساوي شيئا .

ثم أخرج مجموعة اللوحات فصاحت فيه وهو يفتح الأوراق التي حزمتها بعناية ويتطلع إليها ويقلبها بإهمال .

– لا .. لا تفعل .

أخيرا ألقى الرجل باللوحات وسط الرياح و"سكاي" تراقبها وتبتلع ريقها بصعوبة نادمة على كل هذه الأعمال ،وأخيرا ألقى الرجل ببقية اللوحات في اشمئزاز وقال :

– أوه .. مجرد صور قديمة .

– والآن وقد أفسدت أشيائي هل يمكن أن تتنحى جانبا ؟إن أمامي عملا

www.elromancia.com

لابد أن أعمله .

استطاعت أن تجعلها كلماتها تبدو كأنها واثقة على الرغم من ارتعادها داخليا .

قال الرجل :

– حسنا .. الآن تريثي لحظة .. لقد رأيناك تجرين هابطة إلى أسفل الجبل من قبل وحبيبك يطاردك ،ولكن في المرات الاخيرة لاحظنا انه لم يعد يطاردك فتصورنا أنك تشعرين بالوحدة .

وقفت صامتة لحظات وهي ترقب الرجال الثلاثة :

– من أنتم ؟ لم يسبق لي أن رأيتكم .

– إننا نقيم في الأكواخ الجديدة في نهاية القرية .نقوم بصيد بعض الأسماك في هذه الأماكن . ولكن الرجل يمكن أن يصطاد مرات عديدة ثم يبدأ في البحث عن صيد جديد ورياضة جديدة .

ضحك الرجلان الآخران وأومآ برأسيهما وهما يقتربان خطوات من "سكاي" . انحرفت بعيدا عنهم .

– ما أسماؤكم ؟

– "توم" و"ديك" و"هاري" .

قالها الرجل الذي يبدو أنه يحمل مسدسا ،ثم ضحك الجميع ،ارتجفت وهي ترى نيتهم المبيتة في عيونهم ،كانوا ينظرون إليها وكأنها لعبة جديدة وارتعدت عندما أدركت نوع اللعبة التي يريدون أن يلعبوها . قالت لهم وهي تتعجب من لهجتها الهادئة :

– حسنا .. علي أن أحضر بعض الأشياء من القرية لذا لو سمحتم لي ساجري إلى هناك الآن .

– أوه .. ولكننا لا نسمح أيتها الحسناء وإننا لم ننته منك بعد . إن الأمر واضح حتى بالنسبة لساذجة من بنات الجبل .

أحست بالحرارة في وجهها أمام الإهانة ولكن غضبها تبدل إلى خوف عندما تقدم الرجلان بخطوات ثابتة منها ، نظرت في جنون من جانب لآخر ووجدت صفا من الأشجار يحدان الجدول عن يسارها ،وعلى اليمين كتلة رهيبة من أشجار التوت يستحيل القفز عليها عرفت في الحال أن

جانب جدول الماء هو الأكثر أمانا كطريق للهروب وهي تعرف تماما امتداد الأرض هناك وحتى مهارتها لن تحميها من أشواك أشجار التوت لو حاولت الطريق الآخر .

درست أعداءها الثلاثة بسرعة وقد بدا زعيم العصابة ضخما وقد أظهرت عضلاته تحت قميصه مدى قوته . لو استطاعت أن تبقى بعيدا عن متناول يده فلن يستطيع الإمساك بها فقد بدا قويا ولكن ليس سريعا . أما الرجلان الآخران اللذان يقتربان منها فهما حكاية أخرى . لقد كانا أصغر منه سنا وبدا الرجل الذي يمسك بالحبل خائفا . لم تكن له عضلات مثل الزعيم ولكنه أكثر رشاقة وقد يكون هو أسرع واحد بينهم أما الآخر الذي معه المسدس فقد بدا غريب الهيئة وهو بدين أيضا وأدركت في الحال أنه أخطر الثلاثة .

بينما الرجلان يسيران ببطء نحوها خطت للخلف وأحست بالادرينالين يزيد في دمها وقد توترت كل عضلاتها وأصبحت على استعداد تكورت بعض الشيء وهي تأخذ خطوة أخرى للخلف .

قال الرجل الكريه بصوت أكثر فظاعة .

– لا تهربي أيتها الحسناء فستعاملك معاملة حسنة .

– أمسكا بها !

عند صيحة الزعيم أحاط بها الرجلان . انحرفت لليمين ثم جرت بضع خطوات صاعدة الجبل ثم قفز عليها الرجل ذو الحبل فتجنبته فسقط كتلة واحدة على الأرض قبل أن تتمتع بحريتها قبضت يد على رسغها . كانت يد الزعيم فقد تحرك بأسرع مما توقعت وجعلتها قبضته تقف وقد فقدت توازنها وسقطت على الأرض كان وجهه الكريه فوقها مباشرة :

– محاولة جيدة يا صغيرتي . إنني أحب الفتيات اللاتي يقاتلن فإنهن يجعلن الأمر أكثر تسلية .

قالت بأنفاس متقطعة :

– أرجوك .. دعني .

ضحك ضحكة كريهة ثم نظر إلى رفيقيه :

– لقد فقدت روح الدعابة وسيكون الأمر سهلا . ما أن خرجت

الكلمات من فمه حتى نزعت "سكاي" يدها منه ودفعته بقدميها بقوة مما افقده توازنه ، تدحرج على جانب الممر ونهضت "سكاي" على قدميها واخذت تصارع لتتنفس ثم قفزت قفزة يائسة واتبعتها باخرى . ثم امسك بها ذو الوجه القبيح من كاحلها .

– لقد امسكت بها .

سقطت مرة اخرى على الارض وهو يقفز عليها . احست بالالم في ركبتيها وكفيها وهي تمسك بحافة الحبل الخشنة مما جعل رأسها يدور . عندما ارتفعت يد ذي الوجه القبيح إلى اعلى ساقيها احست بالرعب . ضحك عندما رأى رد فعلها نحوه :

– ها يا اولاد ! اعتقد أنها معجبة بي .

كان الزعيم قد نهض من فوق الارض حيث سقط من قوة ركلتها واخذ يعرج :

– إنها ساحرة صغيرة لعينة .. أليست كذلك ؟

مد يده نحو چيبتها وحاول حل ازرارها . اجبرت جسدها ان يسترخي بعض الوقت وقلبها يسقط في قدميها .عندما نظر إليها اصبحت يداها حرتين الآن على الرغم من أن الرجل المدعو "چو بوب" مستلق فوق ساقيها . مد الزعيم يديه نحو صدرها ،غرست كفيها في الحافة الصخرية ثم ملأتهما بالرمال وقبل ان تصل يداه إلى صدرها القت الرمال في الوجوه الثلاثة الذين صرخوا لاعنين. تدحرج ذو الوجه القبيح وهو يدعك عينيه . نهضت على قدميها ونهبت الممر جريا وهي تباعد المسافة بينها وبينهم قدر المستطاع . كانت انفاسها تخرج متقطعة وسريعة ولكنها أجبرت نفسها على الاستمرار . سمعت خلفها خطوات متلاحقة كانت خطوات الرجل ذي الحبل وكان سريعا يكاد يلحق بها وكانت في حالتها الضعيفة تعلم أنها لن تستطيع أن تسبقه ولكنها تذكرت الخوف على وجهه . عندما وصل إلى خلفها استدارت بسرعة ومدت قبضتها في وحشية لتمنعه . ذهل ووقف فجأة وهو يحاول الحفاظ على توازنه بصعوبة . نظرت إليه نظرة قاسية متوحشة وباردة كانت تستخدمها لإخافة أطفال المستوطنة غير المهذبين :

– من الأفضل ألا تلمسني . أنا ساحرة أستطيع أن أصب اللعنات على الناس فتجعلهم يمرضون .

جعلته كلماتها الخشنة يأخذ خطوة للخلف على الرغم منه بينما سقطت يداه اللتان مدهما ليمسك بها . قال في تردد – أوه .. إنك تكذبين.

قالت وهي تشير نحو مكان الرجلين المرافقين له :

– لقد ألقيت لعنة العمى على صديقيك .

نظر للخلف في خوف فوجد الرجلين ملقيين حيث تركهما وهما يمسحان الغبار والرمال عن عيونهما تراجع الرجل خطوة أخرى بعيدا عنها :

– يا للعذراء "مريم" !

– سأفعل ذلك أيضا لك لو تبعتني أو نظرت إلي بهذه الطريقة مرة أخرى.

سرعان ما ارتفعت عيناه من فوق صدرها إلى وجهها ،حذرته واستدارت وجرت بكل سرعتها هابطة نحو القرية ،لم تتبعها أي أقدام ولكنها لم تبطئ منذ عدوها في حين أخذت الدموع الحارة تنساب من عينيها على خديها . الآن حان الوقت لتشعر بالخوف .

كان عليها أن تذهب إلى القرية ولم تكن لتغامر بالعودة إلى البيت حتى لا يعرفون أين تسكن . أخيرا شهقت وأوشكت رئتاها أن تنفجرا عندما وصلت حافة القرية ضمت حافتي الچيب الممزقتين وكفت عن محاولة منع دموعها من السقوط واتجهت إلى المحل العام .

– هاي أيتها السيدة الصغيرة .. ماذا حدث لك ؟

كان صوت العجوز "بوب چونز" آتيا من مكان ما من داخل المحل . بعد لحظات جاء إلى جوارها وقد سندها بذراعيه العجوزين القويتين وساعدها لتجلس فوق مقعد في فناء المحل .

سار "كول" إلى نهاية الطريق حيث توجد محلات "صن شاين" العامة بخطوات سريعة . كان الصباح جميلا والعمل في الموقع يتقدم باطراد بينما المعارضة المحلية بدأت تقل ،وظن أن ذلك راجع إلى علاقاته مع "سكاي" وصديقيها "لين" و"بوب" .

كان لا يزال هائبا من "سكاي" فقد كانت أصغر من أن تعرف مشاعرها الحقيقية وبالتالي رد فعلها لقبلاته الذي كان عاطفيا مشبوبا ولم يكن واثقا بأن رد الفعل هذا يمكن أن يدوم . لقد كانت "ديدريه" تحس بالعاطفة العارمة نحوه في البداية ولكنها تغيرت عندما بدأت تنظر إلى الرجال حولها . ولكن على الرغم من حذره فإنه لم يكف عن التفكير في "سكاي" وهذا الصباح لم يستطع أن يجبر نفسه على كرهها أو نسيانها .

فجأة أدرك أن المرأة التي يفكر فيها موجودة هناك في فناء المحل التجاري وأحس شعورا طيبا سعيدا حيث أبطأ الخطو إلى أن توقف أمامها . سألها معاكسا :

– إنك تتسكعين متكاسلة هذا الصباح !

لم ترد عليه بل في الحقيقة لم تكن تراه بوضوح . نظر إليها بإمعان . كانت قذرة وذراعاها وساقاها مغطاة بالتراب والطين وقد أمسكت بلوزتها وهي مكومة في مقعدها وقد تمزقت . أحس بالغضب يجتاحه وجلس بجوارها ثم أمسك بيدها الخالية .

– ماذا حدث لك ؟ ومن فعل هذا بك ؟

قالت بعد أن ركزت نظرها عليه لأول مرة :

– بعض من سياحك الملاعين .لم يكن واثقا مما تتحدث عنه ولكنه استطاع أن يرى ما يؤلمها . يا إلهي ! ماذا فعلوا بها ؟ مد يده ليضع ذراعه حول كتفيها المتهدلتين . قالت وهي تنزع نفسها .

– لا تلمسني !

برز "بوب جونز" من عتمة المحل وكان يهز رأسه ويصدر أصواتا بلسانه قال وهو يضع قميصا قديما حولها :

– هاك يا سيدتي الصغيرة ضعي هذا فقط حولك ولقد أحضرت لك شراب الأعشاب لتشربيه .

عندما رأى "كول" الطريقة التي قبلت بها مساعدة الرجل العجوز أحس بدفعة غريبة من الغيرة صارعها بقوة .

– خبرينا يا "سكاي" من فعل بك هذا ؟

نظرت إليه والحقد في عينيها :

– وكيف لي أن أعرف أسماءهم ؟ إنهم بعض من الأشخاص الجدد الذين زحفوا علينا من المدينة .

سألها "بوب" :

– ألا تذكرين شيئا عنهم يا حلوتي ؟ أخبرينا عما حدث حتى نخبر رئيس الشرطة .

قالت :

– إن أحدهم يدعى "جو بوب" ويقولون إنهم يقيمون في واحدة من الكبائن الجديدة وهم في رحلة صيد سمك .قال وقلبه يغوص بداخله :

– كم عددهم ؟

– ثلاثة .

قال :

– يا إلهي ! هل ... أعني .. هل ننقلك إلى طبيب ؟

– إنني بخير .. لقد أفلت منهم في الوقت المناسب . عندما شرحت كيف ألقت بالرمال في عيونهم وزاغت منهم . اتسعت عينا "كول" في إعجاب . لقد اتبعت حيلة الثعلب العجوز عندما يواجه قوة أعظم منه .

بدت تخرج من الصدمة وهي تتكلم ثم أنهت شرحها . سأل "كول" :

– هل تحسين بتحسن ؟

نظرت إليه نظرة باردة وسألته :

– وماذا يهمك في هذا ؟

تساءل لماذا هي ثائرة ضده إلى هذا الحد ؟ بالتأكيد إنها لا تلومه ولكن بالتأكيد لها كل الحق في أن تنزعج وتفقد رشدها بعد الذي مرت به سألها برقة :

– هل هناك أي شيء أستطيع أن أفعله لك ؟

– كف عن أن تقدم كل هذه المساعدات فإنك لن تصلح من الأمر.

– أعلم أنني لا أستطيع أن أزيل ما صنعوه بك .

– إنها غلطتك . ألا تدرك أنها غلطتك بالكامل ما حدث لي . تحير "كول" وبدأ يشعر بأن عليه أن يتخذ موقف المدافع .

– غلطتي ؟ لماذا تعد أعمال ثلاثة من الحمقى من غلطتي ؟

www.elromancia.com

– يمكنك أن ترى لو أنك فتحت عينيك على الغير وليس على نفسك فقط .

كانت عيناها مليئتين بالشرر غضبا منه ونهضت من مقعدها ولم يهمها أن ملابسها ممزقة وجسدها متسخ لأن لها كرامتها سألها :

– خبريني ماذا تعنين ؟ خبريني بصراحة يا حبيبتي .

– أنا لست حبيبتك .

بدأ صبره ينفد .

– ما الذي تتحدثين عنه ؟

– إنك حقا لا ترى ذلك أليس كذلك ؟ أنت لا ترى أن ذلك لم يكن ليحدث لولا بناء شركة "دنتون" الكبائن للغرباء كي يقيموا فيها .

هزت رأسها في امتعاض وجلست على المقعد ثانية . إذن هذا هو الأمر . إنها تلومه بسبب التغييرات التي تحدثها شركة منتجعات "دنتون" فوق الجبل . قال برقة :

– إن الأمور تتغير باستمرار . وإذا لم تأت شركة "دنتون" فإن غيرها سيأتي . إن طريقة حياتك الهادئة محكوم عليها بالانتهاء .

– اللعنة على ذلك .

قال الرجل العجوز :

– لا يا "سكاي" إنه على حق ، إنني أكره التغييرات أكثر منك ولكن لابد من حدوثها . إن الأمر كان واضحا منذ عدة سنوات مضت . ظهر "توم زيل" ومجموعة من أتباعه عند عتبة المحل .

– أوه لا .. يا "بوب" .. هذا ليس صحيحا .

– أنا سأذهب لإحضار رئيس الشرطة .

قالها "كول" ثم استدار نحو الشارع الرئيسي بالقرية ، سمع وراءه صوت "زيل" يعلو عندما أدرك أن "سكاي" أصيبت :

– ما الذي حدث لها ؟ من فعل ذلك ؟

سمع أصحاب "زيل" يسألون :

– ما أشكالهم ؟ سنقبض عليهم وننال منهم .

سارع "كول" الخطوات . كان من السهل عليه تصور الفعل الانتقامي

عندما يعرف أهل المستوطنة أن إحدى فتياتها قد أصيبت بسوء .

اللعنة . أحس "كول" بالدماء تنبض بشدة في عروقه ورأسه وهو يسرع في خطوات نحو مركز الشرطة . لقد كان يعتقد في صدق أن شركة منتجعات "دنتون" ستفيد "كروكد فورك" فقد كانت المنطقة فقيرة للغاية وكان يعلم أن الشباب كانوا يهجرونها في السنوات الأخيرة وكان قد سمع أيضا أن العديد من شركات التعدين كانت تدرس القيام بعمليات جديدة في المنطقة قبل أن تشتري "دنتون" معظم أراضيها . وأن ذلك لو حدث لغير طبيعة الأرض والحياة بطريقة مأساوية أسوأ بكثير مما ستفعله شركة منتجعات "دنتون" .

ومع ذلك أحس ببعض الذنب عندما تذكر وجه "سكاي" الممتقع المغطى بالدموع . ضم يديه في قبضتين وهو يفكر في الرجال الثلاثة الذين هاجموها . إنه يود لو رآهم وقد أصابهم بالرصاص .

*****

عندما أحاطت أضواء الغسق حول كبينة "سكاي" في تلك الليلة . أحست برجفة خوف تسري في عروقها وقد تكورت في محاولة لحماية نفسها ، كانت قد استطاعت أن تجعل "توم" ورفاقه يرحلون بعد أن استمعت إلى شرح لمغامراتهم . لقد طاردوا الرجال الثلاثة إلى خارج القرية بعد أن أصابوهم ببعض الجراح وشكت أنها جراح خطيرة على الرغم من أنهم كانوا غامضين حول ما فعلوه بالضبط . كان "توم" يريد أن يقضي الليلة عندهاولكنها أخيرا استطاعت أن تقنعه أنها ستكون بخير بمفردها . إلا أنها لم تعد الآن واثقة بقرارها . ماذا لو أن الرجال الثلاثة عادوا؟ ارتجفت وهي تتذكر خشونة أيديهم على جسدها . أخذت حماما طويلا وأصبحت نظيفة الجسد ولكن الذكريات لم تذهب مع الماء والصابون .

قفزت عندما سمعت صوتا بالخارج . كانت في منتصف حجرتها وقد أمسكت بحديدة تقليب النار في يدها قبل أن تتعرف على الصوت . كان صوت "فارمر" وهو يخمش الباب بمخالبه وهو يأمل أن تلقي له ببقايا طعام

العشاء .

فكرت في امتنان أن "فارمر" يمكن أن يحميها كما كان يفعل دائما . لقد كان كلب الجبال الضخم سينبح في وجوه الرجال الثلاثة لو أتوا ولم يكن ليتردد في استخدام أسنانه الحادة . ولكن ماذا عن المسدس مع الرجل ذي الوجه القبيح ؟ ثم هل كان بالفعل مسدسا ؟ إنه لم يطلقه عليها وقتها ولم تتح له الفرصة . عندما استطاع إزالة الرمال عن عينيه كانت قد ابتعدت عنه بمسافة طويلة ماذا لو حضر الليلة بحثا عن الانتقام وقتل "فارمر" ؟

أسرعت إلى عتبة الباب ومعها بقايا العشاء الذي لم تأكل منه سوى القليل ونادت على الحيوان الضخم الذي التهم الطعام وهي تربت ظهره .

– إنك ستعتني بي أليس كذلك ؟

قفزت فزعة عندما سمعت صوت الأغصان المتكسرة تحت الأقدام ثم احتمت بالباب . تساءلت لماذا لا ينبح "فارمر" عندما تلصصت في خوف وسط الظلام ظهر جسم مألوف لديها . كان "كول" .

تنهدت في راحة ، نظر إليه "فارمر" دون اهتمام . ثم عاد إلى لعق الطبق وجعله لامعا .

سألته وهي متضايقة من ارتجاف صوتها :

– ماذا تفعل هنا ؟

– لقد ظننت أنك ربما تحتاجين لبعض الصحبة الليلة إن هذا المكان يبدو موحشا .

– لا زلت تقوم بدور الإداري المهتم .

سار نحوها .

– أعلم أنك غاضبة مني وأعتقد أنني أفهم السبب ولكن هذا لا يمنع من أن هذا المكان موحش وأن علي أن أجعله أكثر أمانا لك . – لقد تخلصت بالفعل من العديد ممن يريدون صحبتي .

– هذا محتمل قبل أن ينزل الظلام .. هل أنا على حق ؟

لقد كان ثاقب النظر .أدركت على مضض كيف يعرف أنه يمكن الاعتماد عليه ولكنها أحست أيضا بالخوف منه .لقد كان على حق لأن

الأمور بدت أكثر أمانا قبل أن تغرب الشمس . ولكنه كان أيضا السبب في خوفها .

لولا شركة "دنتون" لما حضر هؤلاء الرجال إلى "كروكد فورك" .

قالت :

– إنني لا أريد أحدا هنا أريد أن أكون بمفردي .

نظر إليها بإمعان فترة طويلة وكانت عيناه الرماديتان لا تطاقان ونظراته عميقة قال :

– إنني أعني ذلك فعلا !

– إذن لماذا أنت متحفزة تقفزين عند أية حركة ؟

تجاهلت سؤاله ومالت ثم التقطت الطبق الذي أتى عليه "فارمر" ونظفه بلسانه :

– لو لم أكن غاضبة منك لشكرتك على الحضور للاطمئنان علي ولكنني كما ترى في خير حال لذا وداعا .

استدارت وفتحت باب الكبينة . عندما دخلت أحست بيده فوق كتفها، وقال :

– اسمعيني لحظة .

وقفت مذهولة في مكانها تنتظر .

– من المحتمل أن المكان هنا آمن لك ولكن هناك فرصة أن يعود هؤلاء الرجال مرة ثانية . لقد تسبب صديقك "توم" في إثارتهم .

– ماذا تعني ؟

– عندما وصل رئيس الشرطة إلى كبينتهم كانوا قد رحلوا . كان من الممكن أن يضعهم في الحجز ولكن "توم زيل" وعصابته طردوهم من المدينة .

– أعلم فقد أخبروني بذلك .

– إن الجيران الذين شهدوا المعركة قالوا إن "توم" فعل أفعالا مشينة معهم ومن المحتمل أن يعودوا طلبا للانتقام .

قالت وهي غير واثقة :

– سيعتني "فارمر" بهم .

بدأت ترتجف ولا تستطيع أن تكف عندما قال :

– إن "فارمر" ليس مضادا للرصاص ولا انت كذلك .

– لماذا أتيت إلى هنا لتخيفني .. إنني خائفة بما يكفي .

– أنا يا "سكاي" ...

– لقد تعودت أن أعيش هنا بمفردي . والآن لا أعرف إن كنت أستطيع الاستمرار ! لم تعد الأمور كما كانت وهذا بسببك .

اختنقت الكلمات في فمها عندما انسابت الدموع غزيرة على خديها ، ابتعدت عنه كي تخفي بكاءها أحست بيده القوية توجهها إلى داخل الكبينة . كانت تراه بصعوبة بسبب الدموع وسارت بلا حول ولا قوة إلى حيث قادها . أخذ الطبق من يدها وكانت قد نسيته ونحاه جانبا ثم وضعها في المقعد الهزاز ثم جثا بجوارها . وقال :

– أنا آسف جدا حول ما حدث اليوم ولا عذر للرجال الذين يتصرفون هكذا .

لم تستطع أن تجيب وإنما فقط تنهدت ، أخذ منديلا من جيبه وقدمه لها . إنها لا تريد أية مساعدة منه ولكنها لم تكن تريد أن تسقط المياه من انفها أمامه انتظر حتى مسحت عينيها وأنفها ثم تكلم :

– أستطيع أن أفهم لماذا تلومين ما حدث على "دنتون" والمنتجعات وعلي .

قالت :

– ولكنك لا تستطيع أن تفعل شيئا حيال ذلك .

وضع يده على يدها اللتين استقرتا على حافتي المقعد الهزاز .

– ليس في الحقيقة . لقد تم اكتشاف منطقة "كروكد فورك" الآن ولا تراجع ولا عودة إلى الطريقة التي كانت تعيشها سابقا . وفي رأيي أنه كان من الممكن أن يكتشفها أحد غير شركتنا ولكني أعلم أنك لن توافقيني .

أومأت موافقة ثم صمتت وهي تتذكر كلمات "بوب چونز" .

قالت في تردد :

– ربما كان هذا ما سيحدث يا "كول" ولكن الأمر يبدو أنه يحدث بسرعة شديدة .

ضغط على يدها :

– أعلم وأريد أن أساعدك للتغلب على ما يحدث الآن لك . أعرف أنك لست مستعدة لأن تدخل الجريمة في حياتك .

ارتجفت مرة ثانية وهي تتذكر الرجال الثلاثة . قال :

– أريد أن أبقى معك الليلة . أعلم أنك لا تريدين مني أن أبقى ولكن سابقى واختيارك الوحيد هو أن أبقى بالداخل أو الخارج .

– إنني يا "كول" لا أريد منك أن ...

قطعت كلامها لأنها لم تستطع أن تخبره أنها لا تريد المخاطرة بالتورط معه مرة أخرى ، ماذا لو بقي الليلة فهل سيغريها ذلك بالرحيل معه ؟ قال :

– إذا رغبت فسأبقى في الفناء . كل ما أريده هو التأكد من أنك آمنة ومن أجل راحة بالي وراحة بالك .

استسلمت :

– أعتقد أنه باستطاعتك البقاء في الداخل .

نظر إليها وقال :

– سأحاول أن أهذب نفسي وأتصرف بطريقة مهذبة .

ابتسمت في تردد أمام نكتته اللطيفة . كان من الصعب عليها أن تظل غاضبة مع هذا الرجل الواقف أمامها وتلك العينين اللتين بدوتا باردتين جدا عندما رأتهما لأول مرة صارتا مغريتين لدرجة لا تقاوم .

ألقى بجسده على الوسائد التي فرشتها فوق السجادة .

قال :

– لا أريد منك أن تتحدثي المزيد عما حدث هذا الصباح ولكن هل أنت فعلا بخير ؟

قالت برقة :

– نعم ولكن كل لوحاتي فقدت . لقد كنت أحملها لأسفل الجبل لأبيعها في محل التذكارات وقد أخذ هؤلاء الرجال حقيبتي وألقوا بكل ما فيها .

قال :

– إن هذا أمر سيئ جدا .. هل تريدين أي شيء ؟ هل تحتاجين لبعض

www.elromancia.com

النقود للإنفاق خلال الأسبوع ؟

هزت رأسها نفيا :

– لا .. إن لدي بعض المدخرات وأحس بانني محظوظة لأنني أفلت منهم في الوقت المناسب .

– لا تبخسي قدر نفسك . إن التفكير السريع هو الذي أنقذك وليس الحظ . إنك حقا احتفظت برأسك سليما . ليس هناك الكثيرات من النساء وحتى الرجال الذين يستطيعون الإفلات من ثلاثة رجال أقوياء .

اعترفت :

– لقد كنت خائفة تماما ولكني كنت معتادة الجبال وقد ساعدني على ذلك كل تلك المرات التي طوردت فيها .

وافقها "كول" وقال :

– ربما كانت هناك قيمة في هذه اللعبة لم أدركها .

استقر فوق الأريكة وقدمت له شرابا منعشا أحست وهي تعده بتقلص داخلها ،لم تكن تدرك من قبل مدى توترها . إن المعيشة بمفردها شيء رائع إلى حد ما ولكن بعد تجربة هذا الصباح المأساوية قدم لها وجود "كول" بعض الأمان . قدمت له الشراب وغاصت في المقعد الهزاز لتحتسي شرابها . أخذت تفحصه بطريقة موارية . كانت يداه خشنتين وحجمها أكبر من المعتاد ، وكان كالمعتاد مرتديا ملابس بسيطة . سألته قبل أن تدرك إن كان سؤالها مناسبا :

– لماذا ترتدي مثل عمالك ؟

نظر إلى قميصه والجينز الباهت :

– إنني أنهمك عندما أعمل في الموقع وهذه الملابس عملية ومريحة .

– ألا يرتدي معظم المديرين البدل الكاملة ؟

قال :

– ليس المديرون الممتازون . إن الرجال يحتاجون أحيانا لأن أريهم العمل أو قد يحتاج بعضهم إلى المساعدة مني في عمله ،وأستطيع أن أؤدي المهن في هذه الملابس .لم أكن لأستطيع أداءها وأنا مرتد البدلة .

أومأت موافقة ثم نظرت إليه بمزيد من الفضول ،إنه يحيرها على الرغم

من نيتها أن تضعه على مسافة منها ،لقد كان دائما مسليا وهو يتكلم . لقد فعل ورأى أشياء كثيرة . إن الناس الذين لديهم خبرات واسعة بالحياة قليلون خصوصا فوق الجبل . سألته :

– هل قمت بسفريات عديدة ؟

قال :

– بعضها .. لقد ذهبت إلى جنوب أمريكا في مشروع بحث كما أنني عشت في أوروبا سنة بعد تخرجي .

بدا ساهما ينظر إلى بعيد وأنظاره غير مركزة .

– ثم لقد رأيت جنوب شرق آسيا وإن لم يكن باختياري .

– خبرني عن أماكنك المفضلة .

سألها وهو يبتسم :

– هل أنت متأكدة من أنك تريدين الاستماع إلى ذلك ؟

هزت رأسها موافقة في شغف وانطلق في وصف بهيج لوجوده وعمله الشاق في أوروبا حيث كان ما يحصل عليه بالكاد يكفي معيشته. أنصتت إلى الطريقة التي وصف بها الأماكن التي كان فيها . كان يعرف كيف يصورها وكأنها حية حيث استطاعت أن تتخيل جبال الألب في سويسرا وتسمع الأصوات العالية في شوارع باريس المزدحمة وتشم رائحة الشوكولاتة الغنية في هولندا. سألته أسئلة متشوقة كلما سكت أخيرا رفع يده وقال ضاحكا :

– أوه ! إن لدينا وقتا كان لاستئناف هذه المحاولة في وقت آخر. لقد أحسست أنني أردد حديثا من طرف واحد طوال الساعتين الماضيتين .

– حسنا – هل لدينا حقا وقت كاف ؟

نظر إليها بحدة عندما أحس بالسخرية في صوتها :

– ماذا تقصدين ؟

– كل ما هناك أنني أريد أن أسمع أكبر قدر عن الأماكن التي رأيتها . إنني لم أقابل أي شخص ذهب إلى الخارج من قبل ولا أعرف إلى متى ستظل هنا؟

أحست "سكاي" وهي تقول هذه الكلمات شعورا يسقط في أعماقها

www.elromancia.com

ولم تستطع أن تعبر عن ذلك بصوت عال .. لقد بدا أن رحيله حقيقة . نظر إليها بتعبير لم تستطع فهمه .. هل هو الأمل؟ ولماذا ؟ ولكن في الحال زال تعبيره وربت الأريكة وقال :

– تعالي واجلسي بجانبي .

سارت المسافة القصيرة إلى الأريكة وغطست بجواره وعيناها غير قادرتين على ترك عينيه . لمس وجهها برقة :

– حقيقي إن الموقع أوشك على الانتهاء . على الأقل دوري سينتهي قريبا ولكن سيكون لدينا بعض الوقت نقضيه سويا إذا رغبت في ذلك .

لم يكن ذلك ما ودت أن تسمعه . أن يقضيا بعض الوقت معا لن يساوي الأيام والأسابيع الممتدة بعد رحيله ولكن لم يكن لها الحق في أن تراه مرة ثانية ولا حق لها في وقته . أجبرت نفسها على الابتسام . ابتسامة مرحة وقالت بلا اهتمام :

– حسنا إذن . سأسمح لك بالبقاء الليلة ولكني أتمنى لو استطعت أن أرى تلك الأمكنة التي تحدثت عنها فإنها تبدو رائعة .

– لقد ظننت أنك لن ترغبي أبدا أن تتركي الجبل .

– لا أريد بصفة دائمة ولكني أود أن أرى أمكنة أخرى ثم أعود لوطني .

لف ذراعه حول كتفيها ولمس وجهها ثانية . عندما نظرت إليه رأت تعبيرا غريبا في عينيه :

– كيف أتصور أن أجد امرأة مثلك مدفونة في هذا الجبل؟!

أحست بالدماء تزحف على خديها .

– ماذا تعني بامرأة مثلي ؟

– إنك خليط مثير للدهشة من التقاليد والإثارة إنني لم أعرف أبدا ماذا أتوقع عندما أتحدث معك . بدأ قلبها يدق بشدة من لمساته الرقيقة وانساب الدفء في عروقها . إن وجوده بجوارها نعمة كبرى ،كانت تحس بالأمان والراحة وإن أحست بالتوتر والإثارة ،وكان شيء لطيف وعميق على وشك الحدوث كانت بعض الحيرة التي تحس بها قد بدت دون شك في عينيها عندما نظرت إليه . قال بصوت خشن :

– هل لديك فكرة عما تفعله هاتان العينان في ؟

هزت رأسها ولا زالت عيناها مثبتتين على عينيه ،كان التوتر في صوته محيرا ومثيرا وقاطعا للأنفاس .

– إذن علي أن أريك .

قبلها قبلات بدأت رقيقة ثم ازدادت عنفا . سمعت صوتا ملحا يهمس: إلى أين سينتهي كل ذلك ؟حاولت أن تتحدى ذلك الصوت وتسكته .

أحست برعدة عندما تذكرت ملمس أيدي الرجال الثلاثة الخشنة هذا الصباح ،ولكن سرعان مازالت هذه الذكرى المؤلمة . إنها لا تشبه لمساته الرقيقة الحانية وهي ما تريدها قدر المستطاع .صرخت فيه :

– لابد أن نتوقف .. لابد أن أمنعك من الاستمرار .

– أنت أجمل امرأة رأيتها في حياتي على الإطلاق .

أحست بالحرارة تصعد خديها . لقد كانت رغبته فيها واضحة ولكن ثمة شيء في طريقة لمسه لها جعلها تتردد . إنه عاملها برقة أكثر من اللازم وكأنه يحبها ولكنها تعلم أنه لا يحبها وإنما يشتهيها . همس :

– إنني أستطيع أن أسمع قلبك يدق بشدة .

أحست بالحرارة تسري في جسدها ووجدت نفسها غير قادرة على كبت مشاعرها فأخذت تدفعه بكل قوتها . لقد أحست بالدوار . قالت في نفسها : إن عليها أن توقف كل ذلك . بدا وكأنه قرأ أفكارها فابتعد عنها. كانت لا تزال تشعر بالدوار وأنفاسها لاهثة. ابتعد عنها وهو ينظر إلى عينيها وسألها :

– ماذا علينا أن نفعل الآن يا "سكاي" ؟

همست وقد ثبتت عينيها على عينيه :

– لابد أن نتوقف الآن .

– هل أنت متأكدة من أن ذلك بإمكاننا ؟

ابتعدت عنه إلى النافذة وهي تحدق إلى ظلام الليل ورأسها تدور بأفكار متشابكة وحائرة . إنها تحبه وتريده ولا شك في ذلك ، كم اشتاقت أن تقوم بالرحلة معه إلى العالم وهو مرشدها ودليلها .

ولكنها كانت تخشى الألم الذي سيلي ذلك ولا مفر من وقوعه لأنها تعتمد على رجل لا تضمن أن يكون موجودا فيما بعد .

www.elromancia.com

أحست به يقترب منها فتصلب جسدها قليلا وبدا أنه لاحظ حركتها الخفيفة . قال بصوت شبه مرح :

– حسنا يا "سكاي" كل شيء على ما يرام وأظن أنني مسيطر أيضا على نفسي . سألته وقد تأثرت مما تعرضت له من تجربة بدا أنه لم يأخذها مأخذ الجد :

– هل أنت تسخر مني ؟

هبطت يداه العريضتان على كتفيها وأدارها نحوه :

– لا يا حبيبتي . أنا لا أسخر منك بأي قدر ولو حدث فإنني أسخر من نفسي .

سألته :

– لماذا ؟

– إنني أسخر من الطريقة التي تصرف بها رجل في الخامسة والثلاثين من عمره بمستوى مراهقة وقد هزته حاجته لامرأة جميلة هز رأسه في مكر ورفع ذقنها لأعلى بإصبع واحد .

– أنا آسف يا "سكاي" . أنا آسف لأنني أخفتك ولكن رغبتي فيك تنمو أكثر فأكثر كلما اقتربت منك وفي يوم ما –

– في يوم ما .. ماذا ؟

– لا شيء .. أحيانا أظن أنني بعيد عن المدينة فترة طويلة . استدار مبتعدا عنها وعقد ذراعيه على صدره .

أحست بدموع حارة تملأ عينيها وأغلقت جفنيها بشدة وهي تضغط الدموع داخلهما . إنه يتحدث معها وكان رغبته فيها مجرد حاجة جسدية يمكن له أن يحققها بسهولة في المدينة . سألته وهي تحاول أن تبدو طبيعية .

– حسنا .. هل ستعود للمدينة حالا ؟

استدار ونظر إلى عينيها بعينين عميقتين لا تحتملان وظل يفحصهما لحظات طويلة واضطرت نفسها أن تبتسم له في مرح ثم تنهد بقوة :

– حسنا – شكرا لك لأنك ذكرتني .. نعم سأعود للمدينة قريبا جدا . مهما حاولت فقد فشلت في التركيز على الحاضر فقط . إن غموض

مستقبلها مع عدم وجوده كان دائما ما يتدخل في أفكارها وبدا أنه يحس بما يعتمل في مزاجها وهو يسير بجوارها في هدوء .

عندما وصلا إلى بقعة خالية تطل على منحدر صخري توقفا في وقت واحد وجلسا على الصخرة الكبيرة متجاورين . قال وقد بدا أثر التردد في صوته :

– لقد كنت أفكر في أمر ما .

نظرت إلى عينيه وانتظرت :

– هل صحيح ما قالته "لين" ؟ إن كل أفراد المستوطنة يعرفون أنني قضيت تلك الليلة في بيتك ؟

أومأت وقالت :

– أخشى أن يكون هذا صحيحا . إن الناس يميلون إلى الإشاعات كثيرا هنا لأن كل منا يعرف الآخر طوال حياته .

– إن هذا يقلقني ولا أحب فكرة أن يتحدث عنك الناس بهذه الطريقة .

– لا داعي للقلق من هذا يا "كول" . إنها ستذهب أدراج الرياح عندما تحدث فضيحة أخرى .

– ولكن هذا بالضبط ما يشغلني . إنهم يتحدثون عنا كعاشقين ولا يبدو الأمر عادلا بالنسبة لي وخاصة وأننا لم نرتكب ما يجب أن نندم عليه .

احمر وجهها ثم أجبرت نفسها على الضحك :

– إن الإشاعات ظالمة ولكن الأمر ليس بخطير وكنت أتمنى لو أن "لين" لم تذكر ذلك أبدا .

– أنا سعيد لأنها ذكرته لأنها بذلك قد أوحت إلي بفكرة .

أخذت تنزع العشب الأخضر الذي برز بجوار الصخرة كان من الصعب عليها أن تتنفس . أبعدت يديها عن الصخرة وصفقت بهما . جذبها :

– تعالي معي يا "سكاي" .

دق قلبها بشدة . ما الذي يقوله ؟ وعلى أي أساس ؟ كانت على وشك أن تنفجر مما يجول في داخلها من أسئلة ولكن يبدو أن صوتها لا يعمل . حاولت الانتباه لما يقوله :

– أترين ! لقد كنت أنظر للوضع من وجهة نظري وأعرف أن علاقة مثل علاقتنا لا يمكن أن تكون دائمة .

www.elromancia.com

أخرجت "سكاي" نفسها المكتوم مرة واحدة وأدارت رأسها لتخفي التعبير على وجهها . لمس ذقنها برقة وحاول أن يجعلها ترفع رأسها :

– أليس هذا صحيحا ؟

لم تستطع أن ترفع رأسها لأنها لا تريده أن يرى دموعها في عينيها .

– "سكاي" ؟

أخيرا أومأت برأسها ولا زالت خافضة رأسها :

– أعرف أن ذلك لن يدوم .

ظل صامتا فترة طويلة ولكن عندما تكلم كان صوته غريبا .

– ولكن هناك دائما الفلسفة التي تقول إن على المرء أن يعيش حياته لحظة بلحظة . إنك لا تستطيعين أن تأتي معي الآن فدعيني أساعدك على أن تبدئي الحياة في المدينة وما أن تقفي على قدميك وتستعدي للوقوف بمفردك فإنك تستطيعين الاستمرار .

ظلت تطرف بعينيها وهي تضغط على الدموع حتى لا تسقط . إن الفرصة التي تريدها أكثر من أي شيء في حياتها هي فرصة البقاء معه ومع ذلك فإن صبده الذي لابد منه كان واضحا في كل دعواته لها . قال ولا يزال صوته يبدو غريبا على أسماعها :

– إنني فقط أعرض عليك ذلك لأنني أرى الآن كيف أن علاقتنا بدت أمام الناس هنا . لابد أن تخرجي من هذا المجتمع يا "سكاي" .. إنه مجتمع ضيق جدا ومغلق عليك ولو استطعت أن أكون الشخص الذي يساعدك .

كم كان يبدو وكأنه يقدم خدمة إنسانية عامة وهو ما زاد من سوء حالتها . كانت تود لو أنها منعته من الكلام .

– "سكاي" ؟

لم تستطع أن تنظر إليه .

– اللعنة يا امرأة قولي شيئا لي ! قولي لي إنني لا أتخيل ما بيننا . إذا ذهبنا للخارج معا وبعيدا عن كل تلك العيون المتلصصة سأجعل الأمور جميلة بالنسبة إليك .

أوه يا إلهي ! لقد كنت جائعا لدرجة فظيعة منذ قابلتك . أنا أنظر إليك وأتمزق أريد أن آخذك معي وأن تكوني كلك لي كل الوقت وأتذوق

حلاوتك وأريد أن أعلمك الحب .. كيف يبدو ذلك لي؟ ظل رأسها منخفضا وقالت بصوت خافت :

– ليست فكرة جيدة .

ظل صامتا فترة :

– أعرف أنني أكبر منك بعض الشيء ولا أستطيع أن أقدم لك نوع الحياة التي يقدمها لك أحد رجال الجبال .

نهضت فجأة ولم تعد تريد أن تسمع المزيد من أعذاره .

– انس الأمر يا "كول" .

كان من الواضح ما يظنه عنها . أنها تساوي بضعة أشهر من المتعة ولكنه لا ينوي أبدا أن يقيم علاقة طويلة وملتزمة . عادت وهي لا ترى طريقها نحو موقع الرحلة وأحست بالخلاص عندما لم يتبعها .

قبل أن تعود إلى الموقع مباشرة حيث رصت الموائد وقفت ودخلت الممر إلى مجموعة الأشجار الصغيرة . إنها لا تستطيع أن تواجه الناس الذين بدأوا يتوافدون إلى منطقة الرحلة . إنها ليست مستعدة بعد . ألقت بنفسها على الأرض ولفت ذراعيها بقوة حول ركبتيها وأخذت تهتز للأمام والخلف . لقد ظنت أنها سبق لها أن أحست بالألم من قبل ولكن الألم الآن أسوأ . لقد عرضت عليها فرصة أن تكون مع "كول" ولكن فترة قصيرة . إنه لا يظن أنها تستحق الزواج وكان هذا واضحا . إنه يريدها فقط من أجل جسدها الشاب لقد أوشك أن يقولها صراحة إنها لا تصلح له على المدى البعيد كما أن عرضه لم يكن قائما كلية على رغبته فيها . إنه أحس أنه مدين لها لقد قال صراحة إنه لم يفكر في ذلك إلا بعد أن علقت "لين" في ذلك اليوم حول ما يقوله الناس .

لقد كان خليطا كبيرا من الأسباب لرغبتها في الحضور معه حاولت أن تتغلب على الغضب الجامح الشديد ضده لقد كان من البرود بحيث عاملها بهذه السهولة . كان عليه أن يدرك أنها ليست من النوع الذي يذهب مع أي رجل لقضاء وقت قصير ممتع ثم يتركها .

ولكن كان من الصعب عليها أن تغضب منه . لقد ظلت تفكر في حنانه وعينيه الدافئتين . ربما كان يميل إلى النساء اللاتي يملن إلى فعل مثل

هذه الأمور . وربما هي عتيقة التفكير . وربما كان من الأفضل لو قبلت عرضه .توقفت وهي فزعة من الفكرة ولكنها مسحورة بها أيضا . فقد تكون فرصة لتكون معه وقد تؤجل اللحظة التي سيفترقان فيها مدة أطول . يمكنها أن تتظاهر بأنهما متزوجان وأنه يحبها فعلا :

احتضنت ركبتيها أكثر . إنها فكرة جريئة ولكن لم لا ؟ ما الذي ينتظرها هنا ؟ لقد تذكرت رؤيتها السابقة لمستقبلها وحيدة فوق الجبل وارتجفت فجأة بدت صورة وجه جدتها أمام عينيها . كانت شبه حقيقية فشهقت ، همست وهي تغلق عينيها على صورة جدتها العجوز :

– ماذا علي أن أفعل يا جدتي ؟ هل أذهب معه أم أبقى فوق الجبل ؟

برزت الكلمات التي كان من الممكن أن تقولها لها جدتها في عقلها واضحة : فكري كيف ستشعرين يا حلوتي . هل ستشعرين بالسعادة داخلك وأنك تفعلين الشيء الصحيح لو فعلتها أم لا ؟ هذا سيخبرك ما هو الصحيح .

ظلت مغلقة عينيها بشدة وتصورت ماذا سيكون الحال في "دينفر" مع "كول" من المحتمل أن لديه منزلا واسعا فاخرا هناك وتستطيع أن تعيش هناك معه . إن لياليهما معا ستكون خرافية وهو أمر مؤكد وقد يستيقظان معا في الصباح وتعد له الفطور وبعدها سيذهب إلى عمله وهي .. ماذا ستفعل ؟

تجهمت "سكاي" عندما تحطمت الصورة في عقلها . ماذا ستفعل طوال النهار في "دينفر" بينما "كول" في العمل ربما تستطيع أن ترسم ولكن ما دام الإلهام الرئيسي يأتي إليها من العالم حولها فإن المناظر الطبيعية من الصعب الحصول عليها في المدينة .. ربما ذهبت إلى الكلية ولكن قلبها سقط في قدميها عندما تذكرت الحال وهي في الكلية من قبل . ثم ماذا ستصنع مع الأصدقاء ؟ ربما كان لـ"كول" بعض الأصدقاء الذين يقدمهم لها من المحتمل أنهم أكبر منها سنا وأشخاص راقون . تخيلت الوضع بصورة حية . هي و"كول" واقفان معا في المنزل وجرس الباب يرن وقتها سيقول "كول" :

– هاللو "سام" . هاللو "سوزان" هذه هي .

عشيقتي ؟ فتاة تافهة من الجبل ؟

تخيلت التعبيرات على وجوه أصدقائه : الشفقة والاحتقار وتتخيل

مدى الألم الذي ستشعر به وهي تحاول أن تتأقلم مع هذا الجمهور .

والأسوأ من ذلك أنها تصورت أن تنهض في الصباح وهي بجوار "كول" في أحد الأيام وهو يقول لها لقد حان الوقت لتعودي للجبل مرة أخرى ، وتصورت نفسها وهي تعد حقائبها وتعود إلى الكبينة وتحيي كل أصدقائها مرة أخرى وترى التعاطف والاحتقار في عيونهم ،ووقتها سيلوح لها "كول" مودعا ويرحل .

فتحت عينيها وهي ترتجف ثم دعكتهما محاولة أن تطرد تلك الصور . يا له من أمر مرعب . ستكون موضع الشفقة وسيقول الناس لبناتهم عنها . وكيف أنها رحلت مع رجل من المدينة وعادت لبيتها يجللها العار .

لو رفضت عرضه ودعته يرحل على الأقل ستحتفظ باحترامها لنفسها وربما في يوم ما تعثر على رجل قد يجعلها تنسى "كول" وعينيه الرماديتين ولمسته الحانية ،كانت في أعماق قلبها تعرف أنها لن تستطيع ذلك أبدا . إن ما تحسه نحو "كول" لا يمكن تكراره وإنها تحبه أكثر مما أحبت أي شخص في حياتها وأكثر مما أحبت نفسها ولكنها لن تحقر من هذا الحب بأن تدع علاقتهما تسير كما يقترح "كول" .

نهضت وسوت ضفيرتها وبينما هي تزيل الأشواك والتراب عن ثوبها الصيفي رأت "كول" يعبر الممر متجها إلى الرحلة . تساءلت في اقتضاب ماذا كان يفعل طوال هذا الوقت ؟ لقد كانت تتعذب حول قرارها .

ربما كان قد أسعده أن قالت له أن ينسى الأمر الآن خلا ذهنه من القلق من فلاحة تافهة كانت تصدع رأسه . على الرغم من أنه يشتهيها فإنها تشكل متاعب لرجل أعمال مشغول مثله . وسيشعر في نفس الوقت أنه وفّى بالتزاماته نحوها عندما عرض عليها أن يعتني بها .

رفعت رأسها عاليا وهي تبرز من الغابة واستمرت على ذلك وهي تؤدي حركات استمتاعها بالرحلة . ضحكت مع بعض العمال الذين كانوا يطلقون النكات وأعجبت بكميات الطعام الضخمة مع "لين" و"بوب" وابتسمت ابتسامات عريضة كلما نظر إليها "كول" .

بدا حائرا وساهما وتحدث إليها ولكن عينيه كانتا غائمتين ولم يعد يبدو أنه يريد الاقتراب منها . من المحتمل أنه بدأ ينسى موضوعها ما دامت قد

رفضت عرضه أن تعيش معه قصة حب ومن المحتمل فعلا أنه يفكر في الحياة في المدينة التي سيعود إليها قريبا . عندما انتهى كل فرد من الطعام واسترخى الجميع فوق النجيل ومعظمهم يحتسي الشراب ونهض "كول" صاح أحد الرجال وردد الباقون نفس المطلب .

– نريد خطابا يا ريس !

ضحك "كول" .

– حسنا .. سالقي خطابا .. أفضل خطاب .

صاح أحدهم :

– ليكن خطابا قصيرا .

قال "كول" :

– حسنا .. أريد أن أشكركم جميعا لانكم ظللتم معنا خلال هذا المشروع الشاق ولم يبق أمامنا سوى أسبوع واحد من العمل المرهق وبعده سأعمل على شيء ما لكل منكم . أريد منكم أن تعلموا أننا نقدر الجهد الذي بذلتموه من أجل "دنتون" للمنتجعات السياحية وأود أن أشكر بصفة خاصة الناس المحليين الذين أتوا ليعملوا معنا . لقد حافظتم على ثقتنا بهذا المجتمع بالطريقة التي عملتم بها بجدية جنبا إلى جنب . نظرت "سكاي" إلى "بوب" ولاحظت الشقة تلمع في عينيه مقرونة بالحرج .

استمر "كول" في حديثه :

– أعرف أنها كانت مهمة صعبة بطرق مختلفة وكان من الممكن أن تلتقوا ببعض أعمال التخريب ولهذا السبب وحده أنا أقدر بصفة خاصة مجهوداتكم ... أريد أن تنتهوا من كل لقمة طعام وقطرة شراب قبل عودتكم لبيوتكم .

جلس وسط عاصفة من الضحك والتصفيق .سرعان ما تفرقوا إلى جماعات مرة أخرى . أقام بعض الرجال شبكة "قولي بول" وأعدوا مسافة للسباق في حين بقيت "سكاي" مع "لين" التي جلست مع طفلها فوق النجيل . سألت المرأة الشقراء :

– ماذا بينك وبين "كول" ؟

– هل لاحظت ذلك ؟

قالت "لين" :

– من الصعب ألا ألاحظ ،إنه يواصل النظر إليك ولكن عندما تنظرين إليه يدير عينيه بعيدا . هل تعاركتما ؟

تجهمت "سكاي" :

– ليس بالضبط .

أخبرت "لين" عن عرض "كول" فارتفع حاجباها دهشة .

– أنت تمزحين ! هل أنت واثقة بانه كان يعني أن تكون العلاقة مؤقتة؟

– فعلا لقد قال بالضبط "علاقة مثل علاقتنا لا يمكن أن تدوم ."

هزت "لين" رأسها :

– ألم يدرك أن الفضيحة ستكون أسوأ لو أنك رحلت وعشت معه أشهرا قصيرة ثم عدت إلى الجبال ؟

– إنه يظن أن عليّ أن أترك الجبال على أية حال وهذا يبين لك أنه لا يعرفني جيدا .. إنني لا أريد الرحيل إطلاقا .

– حسنا .. أصدقك القول إنني لم أفكر أبدا في أنك ستظلين هنا طوال حياتك وقد يكون على حق في ذلك .

– أنت مجنونة .. إنني باقية دون شك .

– ولكن لو جاءك شيء مهم في أثناء ذلك مثل وظيفة عظيمة أو رجل تحبينه ...

تململت "سكاي" في نفاد صبر .

– ربما .. ولكن لن "يكون "كول دنتون" هو الذي سيأخذني بعيدا. إنه يريد نزوة لا أكثر ويريدها بعيدا عن المستوطنة وإشاعاتها .

– إذن ماذا قلت له ؟

– ماذا تظنين ؟ لقد قلت له أن ينسى الأمر .

نقلت المرأة الشقراء طفلها بين ذراعيها .

– إنني فقط لا أفهم الأمر لقد ظننت بطريقة مؤكدة أنه يهتم بك أعني أنها أكثر من مجرد علاقة قصيرة المدى .

هزت "سكاي" كتفيها .

– إنه من المدينة يا "لين" . لقد تعود وجود النساء حوله يواعدهم ويفعل

كل شيء ولكنه لم يعتد الالتزام ولا نتوقع منه أن يكون مثل الرجال هنا . كان الرجال الذين يشاهدون السباق قد ازدادوا ضجيجا وهم يضحكون ويصرخون ويهتفون وهم يشاهدون المتسابقين يجرون . انتقلت المرأتان قريبا من السباق كان البعض يؤدون السباق بطريقة هزلية وقد احتسوا الكثير من الشراب مما أثاروا عاصفة من الضحك بينما أخذ البعض السباق محمل الجد .

صاحت "لين" :

– انظري إنه دور "بوب" .

كان من ضمن الجماعة الجادة وبعد بدء السباق ظل هو وبقية المتسابقين فترة على نفس المسافة والسرعة ولكن عند الاقتراب من نهاية السباق اندفع "بوب" للأمام . صاحت "لين" عندما عبر خط النهاية .

– حسنا يا "بوب" لقد فزت للمحليين .

صفق القليل منهم وإن أخذ العمال الأجانب يهزأون . سأل أحد العمال الملتحين كان من المتوقع أن يفوز :

– إذن السباق ما بين المحليين ضد الأجانب ؟ حسنا إنهم يسمونني السهم وأستطيع أن أفوز على أي شخص يسابقني .

أعلن "بوب" رغبته في السباق مرة أخرى ولكنه كان لا يزال يلهث من آخر سباق . نهض أحد رجال المستوطنة .

– أنا ساسابقك يا رجل المدينة .

كسب الرجل ذو اللحية المسمى السهم هذه المرة السباق وأخذ أهل المستوطنة يزومون ونظرت "سكاي" حولها ، ودهشت من ارتفاع الأصوات وأدركت أن معظم المشتركين في الرحلة قد تركوا بقية السباقات وأخذوا يراقبون سباق الجري .

نهض أحد رجال المستوطنة ممن عملوا مع "كول" وقبل تحدي السهم ولكنه خسر هو الآخر . صاح "السهم" .

– أعتقد أنكم أيها الناس لستم أسرع من أفكاركم .

قال "بوب" :

– اهدأ يا رجل واستعد أنفاسك وسأسابقك ، أومأ السهم موافقا وألقى بنفسه فوق العشب وقد أحاط به زملاؤه من العمال يشجعونه وينصحونه .

ابتسمت "سكاي" لـ"بوب" وأشارت إلى طفله :

– ستهزمه وأنا أعرف مدى سرعتك .. فقط فكر في "جوشوا" واجعله فخورا بأنك والده .

سأل السهم بمرح :

– هل أنت على استعداد يا فتى الريف .

– إنني مستعد منذ فترة ومنتظرك .

نهض "بوب" برقة واستعد الرجلان عند خط البداية .

– انطلقا !

انطلقا وفي الحال نهضت كل من "سكاي" و"لين" على أقدامهما تراقبان وتشجعان "بوب" الذي اندفع للأمام سابقا الرجل الملتحي . كان "بوب" صغيرا وليتا وسريعا للغاية وكان متقدما عليه كثيرا . عندما وصل الرجلان إلى منتصف المسافة بدأ عمال "كول" يصرخون ويشجعون زميلهم وبدا وكأن الصوت دفعه ، وبدأت المسافة بينهما تقل . صرخ أحد رجال المستوطنة فوق بقية الأصوات :

– إنه سيلحقك يا "بوب" .

نظر "بوب" خلفه وفي نفس اللحظة تعثر في شيء ما ووقع . صرخت "لين" وبقية رجال المستعمرة عندما فاز السهم بالسباق .

– لابد أنه تعثر في حفرة .

سارعت "سكاي" و"لين" إلى "بوب" الذي جلس يدلك كاحله وسألته "لين" :

– هل أنت بخير ؟

– نعم ماعدا كاحلي وكرامتي .. كان بإمكاني أن أهزمه .

جثت "سكاي" أمامه وقالت آمرة :

– دعني ارى !

خلعت عنه حذاء السباق والجورب وأخذت تفحص الكاحل المخلوع بأصابع ماهرة . وأعلنت .

– إنه التواء ولابد أن تستريح يومين على الأقل .

– لا تقولي إن واحدا من أهم العمال عندي لن يستطيع أداء مهمته ،

هذا جزاء دعمي للرحلة . كان علي أن أظل سائقا للعبيد . نظرت "سكاي" إلى مصدر الصوت فوجدته صوت "كول" .

لم تكن تعرف أنه كان يشاهد السباق . التقت عيونهما لحظة .

– أنا أخشى عليه أن يأخذ يوما أو يومين إجازة . كانت تحاول أن تجعل لهجتها مرحة .

قالت "لين" ضاحكة :

– مع دفع أجره بالكامل بالتأكيد .. لقد أصيب في أثناء العمل . قال "بوب" :

– بالتأكيد بدون أجر يا "لين" .

قال "كول" :

– سنرى ذلك .

كانت "سكاي" لا تزال تفحص كاحل "بوب" .

– هل هناك أحد لديه رباط ضاغط نربط به كاحله .

قال "كول" :

– أعتقد أن لدي أدوات الإسعاف الأولية في الشاحنة .

اتجه ناحية الشاحنة وعاد بسرعة وهو يلوح بالصندوق المعدني . ربطت "سكاي" الكاحل في سكون وساعد "كول" "بوب" وهو يسير وهو يعرج عبر الميدان . مال "السهم" على مائدة الرحلة حيث وضعوا "بوب" وسأله :

– هاي يا رجل . هل أنت بخير ؟

أومأ "بوب" موافقا فقال الرجل الملتحي :

– لقد كان حظا سيئا ولكني أعتقد أن ذلك يعني فوز رجال "دنتون" .. أليس كذلك ؟ ما لم يكن عند المحليين شخص آخر للسباق .

قال "بوب" وهو يستدير نحو مجموعة أهل المستوطنة الذين التفوا حوله .

– أعتقد ذلك .. آسف لأنني خذلتكم يا رفاق .

وقفت "لين" ويداها على وسطها :

– انتظر لحظة إن أسرع متسابق على الجيل لم يشترك في السباق بعد .

تجهم "بوب" وبدا أنه غاضب من زوجته .

– من تقصدين ؟

– إنها "سكاي آرشر" .. لقد ظلت تسابق جميع رجال المستوطنة منذ كانت صبية وهزمتهم جميعا .

قالت "سكاي" :

– والآن .. انتظري !

بدأت عينا "بوب" تتراقصان .

– هذا شيء مؤكد فعلا . إنها تستطيع أن تهزمنا جميعا . ما رأيك يا "سكاي" ؟

صاحت أصوات رجال المستوطنة :

– هيا يا "سكاي" ! تسابقي من أجلنا .. لا تدعي رجال المدينة هؤلاء يهزموننا .

كان الرجل المدعو السهم متجهما وغير مصدق قال :

– أتريدون أن تسابقني امرأة ؟ ليس أمامها أية فرصة .جعلها قوله تقرر . قالت وهي تقف بجواره :

– يمكنك أن تبلع كلامك أيها الرجل الضخم .

كان أطول منها بقدم وضعفها في الحجم وكان يهز رأسه وهو ينظر إليها من أعلى . قال أحد رجال "دنتون" :

– انظر كيف ترتدي ملابسها .. إنها حتى لا ترتدي حذاء تنس للسباق .

نظرت "سكاي" إلى صندلها وقالت وهي تخلعه :

– ساجري حافية القدمين .

إن الجري في ثوب لن يعطلها على الإطلاق . فهي دائما ما ترتدي الأثواب وهي دائما مريحة ولا تلتصق بجسدها وهذا الثوب الذي ترتديه لا يشذ عن ذلك . سألت وهي تبتسم للرجل الملتحي :

– هل أنت مستعد يا "فلاش" ؟

قال في مكر :

– نعم إذا كنت تقولين هذا يا سيدتي الصغيرة .

وقف كل منهما في مكانه المحدد وأخذت "سكاي" تفحص أرض

www.elromancia.com

السباق أمامها لقد كان مختلفا بعض الشيء عن طريق سباقها وهي هابطة الجبل في أن هذا السباق يتطلب السرعة أكثر من المراوغة ، ولكنها لا زالت تشعر بالثقة بأنها ستهزم الرجل الضخم الذي بجوارها.

– قفا عند العلامة .

وقفت وقفة بداية مريحة ومالت نصف الميل على عكس الرجل الذي انحنى قريبا من الأرض .

– استعداد .

انتظرت وهي تخلي عقلها من أية معوقات .

– انطلقا .

انطلقت وساقاها تندفعان للأمام وضفيرتها تتطاير في الريح . كانت تجري في مرح وسرعة ولا تهتم بشيء .لقد أحبت دائما الجري والإحساس بالحرية والاحراش والبادية والشعور الذي يأتي مع السرعة . انطلقت ساقاها أمامها كالبرق وهي تأخذ قفزات أطول فأطول . كانت دون تفكير تعرف كل حفرة أو عقبة في الأرض المغطاة بالعشب وكانت قدماها العاريتان تعرفان كل مكان ناعم فتطآنه .

وصلا منتصف المسافة والرجل الملتحي بجوارها . كانت لا تحس به كثيرا . لقد كان بالنسبة لها قوة لابد أن تهزمها وليس شخصا .

– هيا يا "سكاي" .. لا تخذلينا .

نظرت إلى خط النهاية وركزت عليه وأحست سرعتها تزيد دون أن تفكر كيف حدث ذلك . أحست بأن الرجل الضخم بجوارها مرة ثانية ثم أحست بأن أنفاسه الثقيلة بدأت تبتعد :

– هذا هو يا "سكاي" .. لقد تغلبت عليه .

سمعت صوت لهشانه ونظرت بركن عينيها فرأته وهو يضغط على عضلاته لتحمله أسرع . لقد كان يجاهد بشدة وقد احمر وجهه وثقل تنفسه وأصبح خشنا . نظرت إلى خط النهاية مرة ثانية .

كان "كول" خلف خط النهاية مباشرة وهو يبتسم في مكر وهو يراقبها تجري . كان هذا هو الحافز الذي احتاجته . ستريه ! أخذت نفسا عميقا وطارت في الهواء وهي حرة تماما وهي تتجاوز "فلاش" الذي كان يلهث

وعبرت خط النهاية تسبقه بخطوة .

صاح "بوب" وهو يضرب كتفها :

– لقد فعلتها !

انحنت لأسفل وهي تمسك أنفاسها عندما سمعت صيحات التهاني حولها إن هذا أمر مثير للدهشة ! أين تعلمت أن تجري هكذا ؟

سمعت أحد أهالي المستوطنة يشرح السباق التقليدي إلى أسفل الجبل لبعض عمال "دنتون" ونهضت وهي متجهمة ،إنها لا تريد منهم أن يضحكوا على تقاليد الجبل . ولكن استرعى "فلاش" انتباهها وهو يعترف وهو يلهث :

– لقد هزمتني عن جدارة .. لم أظن أبدا أن امرأة يمكنها أن تهزمني .

ابتسمت له ابتسامة حلوة وقالت :

– ربما تفكر مرتين قبل أن تتحدى امرأة .

لمعت عيناه بالإعجاب وقال :

– إنه لن يهمني لو تعودت أن أتحدى امرأة جميلة مثلك . هل يحصل الخاسر على قبلة ؟

قالت بغيظ بينما ضحك الجمهور المحيط بهما :

– إنني لم ألاحظ أنك قبلت "بوب" عندما هزمته ولكن إذا أصررت ...

شدت جسدها وطبعت قبلة عالية على خده ثم تراجعت .

– هاي ! هذه ليست نوع القبلة التي ...

قال "كول" :

– خذ ما حصلت عليه واعتبر نفسك محظوظا يا "سهم" . لاحظت الضيق في صوته . نهضت "لين" فوق دكة من دكك مائدة الرحلة وصاحت :

– حسنا . أعتقد أن المحليين فازوا على الرغم من كل شيء لقد هزم شباب الريف شباب المدينة .

رفع "فلاش" يده معترضا :

– لا تلقوا هذه الهزيمة علي بمفردي يا شباب .. ألا يريد أحد أن يتحدى هذه السيدة الصغيرة ؟

صاح أحد العمال :

– ليس في السباق . أما أردتم التحدث عن أمور أخرى ؟

قال "كول" :

– نحن نتحدث عن السباق .. وهذا كل ما في الأمر .

نظرت "سكاي" حولها وقد التمعت عيناها من الإثارة :

– ألا يوجد متحدون آخرون ؟

صاح أحد عمال "دنتون" :

– ماذا عنك يا زعيم ؟

– نعم .. "كول" !

– تحداها !

– إنك تستطيع أن تهزم امرأة .. أليس كذلك؟

نظر إليها "كول" . كانت عيناه غائمتين ولا يمكن قراءة ما بهما ولكن الابتسامة علت وجهه :

– لست واثقا إن كنت أستطيع أن أهزم واحدة سريعة مثلها .

– أوه .. هيا يا زعيم !

سألته :

– هل أنت خائف ؟

كان قلبها يدق بعنف حيث ثبتت عينيها على عينيه وفكرت أن المنافسة بينهما مثيرة للجنون . إنها تستطيع أن تهزمه . إنها تعلم ذلك ، لابد أن يعرف أنها قوة لا يستهان بها . قال "كول" وهو ينظر حوله :

– حسنا ...

– افعلها . هيا تقدم !

وقف برشاقته المعهودة وقال :

– أعتقد أنني سأفعلها .

عندما نظر إليها مرة ثانية كان التحدي في عينيه وأحست بقلبها يكاد يقفز من صدرها . لقد بدا شديد الثقة بنفسه شبه مغرور . ربما يستطيع أن يهزمها . همست لصديقتها :

– لست أدري إن كنت أستطيع أن أفعلها يا "لين" .

– بالتأكيد تستطيعين ! إنه يمثل عليك ليهزك .

– ولكنه .

– تذكري كيف كان "السهم" واثقا ومغرورا ..

كانت "لين" على حق . إن معظم الرجال يظنون أنهم متفوقون وأنهم أقوى وأسرع من المرأة . لقد توقع معظم الرجال الذين كانوا يطاردونها فوق الجبل أن يمسكوا بها في البداية وبعد العديد من الهزائم أدرك رجال المستوطنة وقتها فقط أنها أسرع منهم .

– هل أنت مستعدة يا سيدتي . أم تريدين الراحة بعض الوقت ؟

أذهلها التحدي في صوت "كول" وزاد من عزيمتها وقالت بصوت تعمدت أن يكون عفويا :

– بالتأكيد أنا مستعدة وليس لدي أية مشكلة .

عندما وقفا جنبا إلى جنب عند خط البداية بدأ قلب "سكاي" يدق وخفتت أصوات التشجيع عندما نظرت إلى عيني "كول" الرماديتين.

سألها برقة :

– هل أنت مستعدة لسباق عمرك ؟

– يمكنك أن تصدق ذلك أفضل .

جاء أحدهم ليحكم السباق بينما توجه بقية الجمهور إلى خط النهاية ليشهدوا آخر لحظات السباق .

– قفا عند علامتيكما .

أخذا مكانهما ،وهذه المرة انحنت "سكاي" أيضا نصف انحناءة ولكن "كول" اتخذ وضع السباق بالكامل .

وركز على قدميه وركبتيه .

– استعدا . .نظر إليها "كول" وأطلق ابتسامة تحد فعلت الأعاجيب من قلبها ولكن عضلاتها تجاهلت الإثارة استعدادا للانطلاق .

– انطلقا !

انطلقا وقد مكن وضع الاستعداد "كول" من أن يسبقها قليلا ولكنها سرعان ما وصلت بجواره . اجتاحها شعور التحدي مثل الفهد ولم تشعر إلا بساقيها المندفعتين والرجل بجوارها ،وعلى الرغم من أنها كانت متعبة

من السباق السابق إلا أنها أحست أنها تجري أسرع .

تذكرت لحظات العرض الذي قدمه لها هذا الصباح واندفع الدم بقوة في عروقها . إذن هو يظن أنها فتاة للتسلية لوقت قصير لا أكثر ؟ حسنا إنها ستريه أن لها قيمة وستمنحه شيئا ليتذكرها .

كانت ساقاها تندفعان بقوة أكثر وراقبت من ركن عينيها أنها تقدمت عليه وشجعت نفسها وزادت المسافة بينهما . عندما رفعت رأسها استطاعت أن ترى خط النهاية أمامها . إنها ستهزمه ! أحست بابتسامة تعلو وجهها حتى وهي تجري بكل عزيمتها . زاد صياح الناس وأوشكت على الوصول .. إنها ستربح ثم حدث ما حدث .

نظرت بطرف عينيها لترى "كول" يلحقها وحاولت يائسة أن تزيد من سرعتها ولكنها كانت قد فقدت كل مما تبقى من العزيمة .. إن خط النهاية أمامها فهل لا زالت تستطيع . اندفع للأمام . عرفت حتى وهي تعبر خط النهاية أنه هزمها بجزء صغير من البوصة . كان حقيقيا أنه هزمها . دارت رأسها عندما أدركت أن "كول دنتون" هو أول رجل استطاع على الإطلاق أن يهزمها في السباق . – إنهما متعادلان .

– متعادلان ؟

– لا .. "كول" ربح لأنه اندفع في اللحظة الأخيرة .

– يبدو لي أن الفتاة هي التي فازت .

سمعت تلك الصيحات بصعوبة وركزت عليهم عندما صدمها الحكم . لم يعرف أحد بالضبط ما حدث . لقد تعرضت سمعتها للخطر . نظرت نظرة مواربة إلى "كول" لتراه ينظر إليها وقد رفع حاجبه متسائلا . إن نظرة واحدة إلى الفوز في عينيه أخبرتها أنه يعلم أنه فاز .

استدارت نحو الجمهور ورفعت يديها لأعلى ولا يزال نفسها صعبا وصاحت :

– لقد هزمني عن جدارة .. لقد كنا متقاربين ولكنه اندفع في آخر لحظة .

– أوه يا "سكاي" ! هل أنت واثقة .. لقد بدوتما متعادلين من هنا .

وقف "كول" منتصبا وقال :

– لقد كنا متعادلين .

نظرت إليه في دهشة . لماذا يكذب ؟ إنها تعلم أنه متأكد من نصره وكان ذلك واضحا في عينيه .

جاء أحد رجال المستوطنة وضرب "كول" على ظهره .

– لقد فعلت ما لم يستطع أن يفعله رجال المستوطنة جميعا حتى ولو بالتعادل .

تدخل رجل آخر وانحنى على "كول" وهمس في أذنه ثم قال :

– نعم .. هذا صحيح . لم يقترب منها أحد منا أبدا .

ضحك "كول" عاليا .

– هل الأمر كذلك ؟ سنرى الأمر .

ما الذي قاله الرجل همسا ؟ عندما رأت نظرة "كول" المتسائلة تستقر عليها . احمر وجهها واستدارت وعلى الرغم من حدة الفكاهة بينهما فلا يزال هناك سوء فهم كبير بينهما . ربتت "لين" كتفها :

– حسنا ماذا حدث بالضبط ؟ هل هزمك ؟

أومأت "سكاي" موافقة وقالت :

– أنا واثقة من أنه هزمني ولا أعرف لماذا لا يعلن فوزه ؟

– أتدرين ماذا يعني هذا ؟

– ماذا ؟

– إن أي رجل يهزمك يتزوجك .. هل هذا صحيح ؟

حملقت "سكاي" إلى صديقتها عندما فهمت سؤالها :

– "لين" ! ماذا بحق السماء ؟

– السباق أيتها الحمقاء .. أليست هذه هي القواعد ؟

هزت "سكاي" رأسها :

– ليس الأمر هكذا على الإطلاق .. إنه من الأغراب !

ضحكت "لين" .

– إنك فقط لا تريدين الاعتراف بذلك لنفسك .

وجهت بعد ذلك انتباهها لابنها . وقفت "سكاي" ساكنة وهي تفكر فيما قالته "لين" ، افترضت أن الأمر صحيح . إنها لو كانت تعيش على

تقاليد الجبل القديمة فإن لـ"كول" الحق في الزواج منها ما دام قد هزمها في السباق ولكنه لم يعلن انتصاره . لم يرد الاعتراف بأنه فاز .

دق قلبها بشدة عندما أدركت لماذا أعلن أن السباق متعادل إنه لا يريد أن يتزوجها . إنه يعرف العادة . لقد قالتها له في تلك الأمسية التي حاصرته الثلوج فيها في الكبينة ،كان يعلم أنه لو هزمها فإن له الحق في أن تكون زوجته ولكنه لا يريد هذا الحق ! ارتعدت وأحست فجأة بالبرد عندما تذكرت كلماته في الغابة هذا الصباح إنه لم يذكر حتى كلمة الزواج .

أحست بغصة في حلقها جعلتها تتألم . لقد كانت الإهانة واضحة . ربما لن يدركها أحد غيرهما ولكن بالنسبة لها كانت بمثابة صفعة على وجهها . والأكثر من ذلك أنه محطم للقلوب ، إنها تحب هذا الرجل ولا تريد من الحياة سوى أن تظل معه بقية حياتها ،فحصته لحظات وكان لا يزال وسط مجموعة عمال "دنتون" المبتسمين والملوحين له بالتهنئة . لقد كان رائعا وكان أطول من أطولهم بنصف قدم وكانت قوته واضحة جلية من تركيب ظهره وثقته بنفسه . لمح عينيها وجاء إليها وقال وهو يشير إلى المكتب الذي أقامه في الموقع :

– إنني مضطر إلى العمل لوقت متأخر في المقطورة هذه الليلة ولكني أود أن أراك قبل أن أغادر المستوطنة .. هل يمكنني أن أزورك غدا بعد الظهر ؟

قالت وهي تفشل في إخفاء المرارة في صوتها :

– بالتأكيد !

نظر إليها وقد اختفت الابتسامة من وجهه :

– الساعة الثانية ؟

أومأت موافقة ورأت "لين" تلوح لها فقالت وهي تتجنب عينيه قبل أن تتجه إلى حيث وقف "بوب" و"لين" بجوار السيارة نصف النقل:

– لابد أن أذهب !

بعد أن وقف "بوب" و"لين" أمام محل التجارة دخلت "سكاي" لتتسوق ما تحتاجه وقد امتلأت يأسا . إنه لا يريد الزواج بها . الغد سيكون آخر فرصة لها معه . أخذ وجهه يسبح أمام وجهها يعذبها . إنها تحبه . أوه كيف أحبته وكيف فقدته .

– "سكاي" ! هاي "سكاي" !

كان صوت اثنين من شباب المستوطنة وأجبرت نفسها لأن تلتفت إليهما وتحييهما . سألها أحدهما :

– هل ودعت "كول دنتون" ؟

كان يبتسم وهو ينقل الوعاء المعدني الثقيل الذي يحمله من يد إلى أخرى .

– أوه بالتأكيد .

هل علم الجميع بصد "كول" لها ؟ هل سيبدأ الناس بالسخرية منها ؟

– حسنا .

عندما ذهبا همس أحدهما بشيء في أذن الآخر وانفجرا في الضحك . كان ضحكهما بالنسبة لأذن "سكاي" صوتا كريها ولئيما وأشعرها بمزيد من الإحباط .

ربما كان "كول" و"لين" على حق وربما كانت المستوطنة قد أصبحت صغيرة عليها . إنها لن تتحملها إذا بدأ الناس فيها يسخرون منها ويضحكون عليها بسبب ما تشعر به نحو "كول" .

التقطت بقالتها وهي ساهمة واتجهت إلى الجبل حيث بيتها .

الفصل التاسع

بينما كانت "سكاي" تسخن بعض الحساء دون رغبة للعشاء أحست "سكاي" شيئا ما يحيرها ؛ شيئا بدا غير سوي وكانت مشغولة جدا ببؤسها فلم تلاحظه .

كان الرجلان الصغيران من المستوطنة ، وكان سلوكهما غريبا غير أخلاقي وكانا أحيانا متوحشين ولكنها لم تعرف أبدا أنهما يتصفان بالوضاعة . ابتسمت "سكاي" وهي تتذكر حكمة جدتها التي تقول "إن الزمن يتغير والناس كذلك" لقد كان ذلك حقيقيا فإن كليهما قد يكونان تغيرا وهي من المحتمل أن تتصرف بشدة أكثر من اللازم نحوهما .

جلست وهي تقلب الحساء أمامها وتساءلت فيم يريد أن يحدثها

"كول" ؟ هل سيكرر عرضه ؟ تلاعبت في ذهنها لحظات فكرة أن توافقه . إنها لا تعرف إن كانت ستتحمل الحياة مع ذلك اليأس الثقيل الذي يعتريها كلما فكرت في رحيله .

ولكن الانتقال كي تعيش مع "كول" جعلها تتراجع وسيسوء وضعها عندما ينفصلان في النهاية للأبد . وقتها ستفقد احترامها لنفسها كذلك. من الأفضل أن تكون حازمة وتقول لا . تناولت ملعقة كاملة من الحساء ثم حملقت إليه بتقزز . كانت معدتها تتقلص بشدة حتى إنها لم تستطع احتساء ملعقة أخرى . أخذت سلطانية الحساء للخارج في الفناء حيث نادت على "فارمر" الذي جاء مسرعا وهو يظهر امتنانه لكرم سيدته .

عندما انتهى الكلب من لعق الحساء انحنت لتلتقط السلطانية وحملتها عائدة إلى الكبينة وهي تهز رأسها ،لقد كانت تعاني حالة اكتئاب مزدوج وقد بدا ذلك واضحا عليها . لم يكن شعورا مالوفا ولكن وقتها لم تكن قد وقعت في الحب ولم ترفض من يكون حبيبها .

بينما كانت تغسل السلطانية عادت أفكارها إلى رجلي المستوطنة اللذين كانا في المتجر . لقد كانا في سلوكهما شيء ما أو ربما في مظهرهما يدعوها إلى التفكير ولكنها لم تستطع تحديده . تساءلت عما إذا كانا من بين المجموعة التي خربت معدات "كول" باستمرار وفجأة وقفت منتصلبة ما الذي سالاها عنه؟ هل ودعت "كول" هل هناك معنى خفي وراء ذلك السؤال ؟ هل يخططان لتخريب نهائي للموقع ؟

وقع الطبق من يدها واصطدم بالأرض .

إن "كول" سيظل يعمل حتى وقت متاخر في هذه الليلة وكان الشابان يحملان وعاء كيروسين ! تجاهلت شظايا الصيني حولها وجرت إلى غرفة النوم وارتدت الجورب والحذاء والجيب وسترة سوداء بسرعة وبعد لحظات كانت تندفع خارج الكبينة وفي يدها كشاف إضاءة . تساءلت لماذا لم تشتر سيارة ؟

جرت في الطريق بسرعة وقد أكسبتها السنون خبرة السير وسط الظلام الدامس . كانت تتنفس بصعوبة . جرت أسرع . ماذا لو تاخرت ؟ ماذا لو أنهم بالفعل ... طردت الأفكار من رأسها وركزت على الطريق أمامها . ظهرت أشباح أمامها مهددة ولكنها كانت تعرف أنها أشجار أو صخور

ضوء أنوار المستوطنة عن يسارها وتوقفت لحظات ، هل تتوقف وتطلب المعونة ؟ ولكن لم يكن لديها وقت لتقنع أي شخص من جيرانها أن بعضهم سيقوم بعمل شنيع ببساطة ليس أمامها وقت . سارعت وتجاوزت المستوطنة وزادت ظلمة الممر عندما خبت الأنوار خلفها و"سكاي" التي لم تشعر من قبل بالخوف وهي طفلة وجدت نفسها تقفز رعبا عند أقل ضجة تسمعها . كان ضوء الكشاف ضعيفا وضيقا ولا يضيء سوى بضعة أقدام أمامها اضطرت للإبطاء وهي تسير لتجنب الفخاخ والجذور والحفر سمعت صوت تكسير عن البعد خلفها . ماذا هناك ؟

سارت أسرع وهي تحاول أن تتجاهل الصوت . ربما كان صوت سنجاب أو أرنب .

نظرت للسماء أمامها وهي تبحث عن علامات نيران في الموقع ولكن الظلام كان دامسا وأحست بالخلاص والراحة . كانت واثقة بانه باستطاعتها أن ترى أية نيران في الموقع من مكانها لو كانت هناك نيران.

زاد ارتفاع صوت التكسير خلفها . لا يمكن أن يصدر السنجاب أو الأرنب مثل هذا الصوت . سارعت الخطى وهي تحاول أن تتذكر أي حيوان ليلي يمكن أن يصدر هذه الضجة ذئب أو أسد الجبال . أو ربما رجل ؟ سارت أسرع.

اتسعت عيناها في رعب . ما ذا لو كان أحد المتتجعين الآخرين والشر في عقله ؟ ماذا لو كان الرجلان ومعهما الكيروسين وقد أصابهما جنون الانتقام وقد أحسا أنها ستحاول الإفلات منهما ؟ بدأت تجري وتتنفس بصعوبة وهي تسمع الأشجار تتكسر اغصانها وراءها والأحجار تتساقط . ما الذي يمكن أن يصنع كل هذه الضجة ؟ أصبح الصوت خلفها تماما . اندفعت تجري في جنون وسط الظلام وبرز جذر شجرة من حيث لا تعلم . سقطت واصطدمت بالأرض وطار كشاف النور من يدها وسط الأشجار أغلقت عينيها وانتظرت . أحست بشيء مبلل يمسح وجهها ورائحة مالوفة وزمجرة تعرفها صاحت "فارمر" . سارع الكلب حولها عندما سمع صوتها بدأ نبضها يهدأ ويصبح طبيعيا وجلست منتصبة وهي تزيل التراب عن ملابسها وشعرها قالت تؤنب الكلب"

- "فارمر" أيها الكلب السيئ غير المهذب . لقد جعلتني أفقد كشاف

الضوء .

تجاهل الكلب لهجتها المؤنبة وشب على ساقيه ثم أخذ يدور حولها في حلقات ظنا منه أنها تقوم بنزهة للمتعة – نزهة للمتعة ! إنها ليست كذلك على الإطلاق . لابد أن تسرع . استدارت واستمرت في الممر وهي تنادي على كلبها تعال يا فتى . من الأفضل أن تبقى معي ، لقد فقدت كشاف الضوء وعليها الآن أن تتحسس طريقها بحرص وبطء .

كان "كول" جالسا في حجرة مكتبه في المقطورة وقد نشر التقارير المالية للمشروع أمامه . إن أمامه أوراقا تزن أطنانا عليه أن ينهيها قبل أن ينتهي من هذه المرحلة من العملية هذا الأسبوع . ولكنه كان يجد صعوبة في التركيز على الجداول أمامه . كانت صورة فتاة ملفوفة القوام ذات شعر أسود تقفز أمامه وتخفي عنه الأوراق . تذكر السباق وزحفت ابتسامة صغيرة على شفتيه . لقد هزمها ولكن ببضع بوصات وكانت تجري حافية القدمين . لقد كانت الفتاة سريعة بدرجة لا تصدق . لقد أخبرته ذات مرة عن العادة التقليدية للسباق جريا فوق الجبل : "إذا استطاع رجل أن يمسك بي فمن المحتمل أن يصبح زوجا صالحا وأبا" ، شيئا مثل هذا . تساءل عما إذا كانت قد فكرت في السباق اليوم في نفس السياق والمفهوم .

لا .. من المحتمل ألا تكون قد فكرت بهذا المفهوم . لقد بدت دهشة من فكرة العيش معه والزواج خارج النقاش . لم يدهش أمام رد فعلها . إن النساء الصغيرات هذه الأيام لا يرغبن في الاستقرار في سن مبكرة وهو يعرف ذلك . إن لديهن العديد من البدائل ويردن الاستفادة بها . إنهن يردن الإثارة والاستقلالية والتنوع . لقد علمته "ديدريه" ذلك .

على أية حال إنها لا زالت فتاة من الناحية العملية وهو على العكس في الخامسة والثلاثين .

من المحتمل أنه كبير جدا عليها . مرر أصابعه في شعره في عصبية . من المحتمل أنها فكرت فيه كأب أكثر منه زوج أو حبيب .

هز رأسه . إنها لم تستجب نحوه كأب . أحس بضيق في صدره وهو يتذكر الليلة التي قضياها معا بعد حادثتها مع الثلاثة السفلة . أحس بجفاف في فمه . لقد كانت "سكاي" بريئة وإن كان بها نضج تحتاج إلى

من يقطفه مرر يده على جبهته وهو ساهم . إنه يريد أن يكون ذلك الشخص الذي يجني هذه الثمرة . إنه يريد أن يتزوجها وأن يقضي بقية حياته معها فكر في شبابها وصغر سنها مرة ثانية ، تعجب لمدى نضوجها الذي يبلغ نضوج من في ضعف سنها . خصوصا مع سعة أفقها وكثرة تجاربها في الحياة والعديد من القراءات التي مارستها ،وذكائها الحاد وطريقتها في الحب مما تجعل الرجل يحس بالشبع طوال حياته .

هز رأسه وانحنى ثانية على أوراقه . لابد أن يكف عن التفكير عما يمكن أن يحدث . لقد بدت حزينة وأنه لا يجب عليها أن تفكر في عرضه وفكر أنه من الجنون لو كرر طلبه عليها في الغد .

ولكنه مضطر لأن يكرره ،ومضطر أن يكرره على الأقل مرتين . لو استطاع أن يحدثها حول قضاء شهرين معه فإن ذلك على الأقل سيزوده بذكريات تكفيه العمر كله . أعاد انتباهه ثانية إلى العمل الذي أمامه . هذه التقارير لابد أن أبقى كي أتمها .إنه الرئيس والعمل يتوقف عليه . اخترقت انتباهه ضجة متزايدة بعد عدة دقائق لم يهتم بها "كول" واستمر قلمه يعمل فوق كومة الأوراق والأرقام .

استمرت الضجة وصاحبها الآن بعض الضربات والخبطات ،واخترقت أفكاره هذه المرة وتساءل هل هي أصوات الراكون فوق الموقع ؟ نهض ونظر إلى الموقع من نافذة المقطورة وتجمد في مكانه . رأى رجلين هناك .. لا بل ثلاثة وتعرف عليهم قليلا لأنه رآهم في المدينة ،ما الذي يفعلونه هناك وهم يتلصصون بعد نزول الظلام ؟

لابد أنهم مخربون وهذه فرصة كي يقبض عليهم أطفأ نور الغرفة حتى يستطيع أن يراهم بوضوح . كل منهم يحمل شيئا ضخما وإن كانت السحب ثقيلة فوق القمر مما جعل من الصعب عليه أن يحدد ما يفعلونه . ابتسم في نفسه . لا أحد يتوقع أن يعمل رئيس المشروع حتى وقت متأخر من الليل ،ومن الواضح أن هؤلاء الثلاثة يظنون أن المكان ملك أيديهم ولم يحاولوا حتى أن يعملوا في هدوء .

اقترب أقصرهم وأخذ يأتي بحركات غريبة بالشيء القائم الذي في يديه وتساءل "كول" : هل يشير إلى شريكيه ؟ ولكن عندما استمر الرجل في

حركاته الغريبة ظهر جسم أسود وسط الظلام ، كلب أسود وقد هجم على الرجل بوحشية . أليس هذا كلب "سكاي" ؟ ماذا بحق السماء يفعل كلبها في الموقع وسط الليل ؟

نظر إلى الظلام مرة أخرى وقفز قلبه . برز من الظلام إلى الضوء الخافت لمصباح الرجال جسم "سكاي" . نظرت إلى المقطورة ثم بعيدا واتجهت مباشرة إلى أقرب الرجال إليها وانتظروها .. هل خططوا ذلك؟ هل يمكن أن تكون "سكاي" – المرأة التي وثق بها .. ؟ هي متحالفة مع المخربين ؟

ظن هذا في البداية . لقد كانت مخلصة جدا للمستوطنة وأهلها وتذكر كيف كانت معارضة للتغيير فوق الجبل وكيف كانت غاضبة من شركة "دنتون" للمنتجعات السياحية .هل لا زالت تبحث عن الانتقام ؟

ولكنه لم يستطع أن يصدق ذلك عن "سكاي" . لقد فكر في عينيها السوداوين التي نظرت بهما إليه في حب . لا سبب هناك إطلاقا أن تحاول إيذاءه .

تجهم وتململ وهو يحس بعدم الارتياح وهو مستمر ينظر من نافذة المقطورة . ما الذي تفعله هناك إذن ؟

إنها تعرف أنه يخطط للعمل حتى وقت متأخر من الليل ، فقد أخبرها بذلك ،والطريقة التي كانت تنظر بها إلى المقطورة جعلته يشك أنها كانت تتحرى إن كان موجودا بداخلها . هل أتت لتحذر الرجال من وجوده ؟

وهل خافت أن يقبض عليهم ؟ هل تحب أحدهم ؟

أحس بطعنة تخترق صدره عندما فكر في أن "سكاي تحب واحدا غيره: إن معظم الرجال هنا لا يصلحون لها ،إنهم لن يساعدوها على تنمية مواهبها وذكائها . كانت صورة أحد هؤلاء الرجال وهو يضع يده الخشنة على جسد "سكاي" جعلته يقشعر ويضم قبضتيه لم يفلح وصول "سكاي" إلى أقصر الرجال وتلمس ذراعه تنصّت "كول" على ما يقوله كل منهما للآخر ولكنه كان بعيدا جدا ليسمع الكلمات . سمع همسا منخفضا حاول أن يترجم ما يسمعه ويفهم ما يجري بينهما .

راقب "سكاي" وهي تشير نحو الشيء الداكن في يدي الرجل ثم ناحية المقطورة . بدا أنها تأمره أن يفعل شيئا ما .

هز الرجل رأسه بشدة . لمست الشيء في يده وابتعد بسرعة وأشار إليها إلى المكان الذي أتت منه . أمسكت بيده وحاولت أن تنزع منه ما يمسكه وتجذبه بعيدا عن الموقع إلى حيث الظلام ولكنه انتزع نفسه بشدة وبدأ يقوم بتلك الحركات الغريبة مرة ثانية. أطلق "كول" زفرة طويلة . لم يكن يعرف حتى ماذا يحمل الرجل ولكن مما يراه بدا وكان "سكاي" تحاول أن تمنعه من ذلك .

وصل الرجلان الآخران واستمرا فيما كانا يفعلانه . ما الذي يفعلانه ؟ حاول أن يتعرف على الحركات التي يقومان بها . من هما ؟بدا وكأنهما يلقيان شيئا من الإناء الذي يحمله كل منهما بدا وكأنه وعاء سوائل . قبل أن يتعرف على ذلك وصلته رائحة الكيروسين .. بالتأكيد هو كيروسين ،إنه يستطيع أن يشم رائحته حتى وهو في المقطورة ،تحرك بسرعة وهدوء وفتح باب المقطورة .

أصبحت حركات "سكاي" أكثر جنونا . من الواضح أن الرجال لا يفعلون ما تريد . أمسكت بذراع أحد الرجال مرة ثانية وحاولت أن تجذبه بعيدا . أفلت منها ووقعت على الأرض . أحس "كول" بالغضب الشديد يتركز داخله ،مهما كان حقد ذلك الرجل على منتجعات "دنتون" فليس له الحق أن يعامل "سكاي" بهذه الطريقة . تسلل في هدوء نحو الشبحين .

ألقى الرجل الشيء الأسود جانبا وأصدر صوتا عند اصطدامه بالصخور . تأكد لدى "كول" من أنه وعاء للكيروسين . لم يعد أمامه وقت للتفكير لأن الشاب الصغير كان يبحث عن شيء في جيبه ، وأحس "كول" بقلبه يسقط حول ما سيكون عليه الحال .

اتجه نحو المجموعة بخطوات غير مسموعة ورأى "سكاي" تبدأ في النهوض من مكان سقوطها ولم تترك عيناه الشاب الصغير الذي كان على وشك أن يشعل عود ثقاب أفزعت صيحات "سكاي" "لا تفعل ذلك" الشاب واستدار نحوها . أخطأت الريح الثقاب وأطلق "كول" صيحة ارتياح واستمر في السير نحو المجموعة .

– اللعنة يا "سكاي" ليس هذا مكانك .. هيا عودي للبيت .

كان الرجلان الآخران يصيحان فيها وهما يشعلان الثقاب وقد ظهر عليهما الخوف أكثر من الغضب وخمن "كول" أن وجود "سكاي" جعلهم يدركون فظاعة ما سيقومون به ومع ذلك كان الرجل الممسك بالثقاب غير

خائف وبدأ يشعل عودا آخر ولم تؤثر فيه صرخات "سكاي" .عندما أدركت أن صرخاتها لن تفلح صرخت نحو "كول" الذي كتم رغبته في الرد عليها . لا شك فيما قد يفعله ذلك الرجل بها فقد بدا أنه عنيف وغير متزن وكأنما أراد أن يؤكد الرجل هذه الحقيقة بدأ يصرخ :

– ابعدي عنا أو اذهبي إلى أي مكان تحبين ! إننا سنتخلص من شركة "دنتون" للأبد .

مد الرجل الثقاب نحو بركة الكيروسين أمامه وتحركت "سكاي" أمامه وهي واقفة وظن "كول" للحظات أنها تود أن تهاجم الشاب وتملكه شعور بالإعجاب على الرغم منه حتى ولو أنه لعن حمقها . جلست وسط بركة الكيروسين . اتسعت عينا "كول" غير مصدق صرخ الرجل:

– ماذا تفعلين ؟ اخرجي من هنا وإلا احترقت .

– إطلاقا يا "جون" . إذا أردت أن تحرق الموقع فعليك أن تحرقني أولا .

قال أحد الرجال وهو أكثر عصبية من الآخر :

– هل أنت مجنونة ؟ اخرجي من هنا .

هزت "سكاي" رأسها رافضة وجلست بلا حركة .

ترك الثقاب ينطفئ في غضب وصاح :

– اللعنة يا امرأة .. إنني لن أسمح لك أن تفسدي خططنا .

– اسمع . أنت لا تريد أن تقتل رجلا أليس كذلك ؟ أنا أخبرك أن "كول دنتون" في هذه المقطورة .. إذا أشعلت النار في الموقع فإنك ستشويه حيا .

أعجب "كول" من اختيارها للكلمات المؤثرة وطرف بعينيه وحاول أن يجعلها لصالحه . قال أحد الرجال :

– انظري إلى هذه المقطورة إنها مظلمة ولا يوجد أحد بها . قال الرجل الممسك بالثقاب :

– وإذا كان فيها أحد فإنه يستحق الموت لأنه جاء إلى هنا ليخرب حياتنا.

قالت :

– إنكم فقط الذين تحطمون حياتكم .

تعجب كل منهم من مدى هدوئها وهي وسط بركة الكيروسين إن المرأة

جريئة لا شك في ذلك . قال الرجل في توسل :.

– هيا يا "سكاي" أرجوك اخرجي من هنا .

– ليس قبل أن تعطيني هذا الثقاب .

دس الشاب الصغير يده في جيبه بحثا عن شيء ما ولكن "كول" استطاع من مكانه أن يرى أنه ليس الثقاب. بعد لحظات أخرج الرجل يده وبها مطواه لامعة النصل . قال :

– إنني لا أريد أن أفعل هذا يا حلوتي ولكني سأفعل . اخرجي. تقدم نحوها ومعه المطواة في يده بينما انضم إليه الآخران في تهديد يساندانه . قالت وقد سمع "كول" لأول مرة الخوف في صوتها :

– إنها أنا يا شباب .

– إذن كوني فتاة طيبة وعودي إلى بيتك .

جلست ساكنة وأصبح الرجال بجوارها الآن وضع الرجل المطواة على ذراعها وأمرها بصوت متوتر :

– تحركي !

لم تتحرك . استطاع "كول" من مكانه وهو خلف المجموعة أن يرى قطرات الدماء تبرز من جلدها فطرف بعينيه ولكنه ظل في مكانه .

عند رؤية "كول" الدم الأحمر ينتشر على بشرة "سكاي" البيضاء انفجر غضبه وصرخ وهو يهجم على الرجل الذي معه المطواة :

– ابعد عنها .

استدار الرجل دهشا وأفلتت لعنة من بين شفتيه ولكن "كول" كانت لديه ميزة المفاجأة وكذلك ميزة حجمه مما صدم الشاب وأطاحه إلى الأرض لقد دهش من شدة غضبه وهو يثبت الرجل ثم أذهله بلكمة في فكه .

سمع صوت أقدام تجري دون أن يراها ثم أحس بلمسة رقيقة على كتفه . قالت "سكاي" بصوت رقيق :

– إن الأمر على ما يرام الآن يا "كول" .. لقد هرب الرجلان الآخران وأعتقد أن هذا قد صرعته .

الفصل العاشر

– إلى أين ستاخذني ؟

– ستربن !

أخذت "سكاي" تتململ فوق مقعد سيارة "كول" نصف النقل . لقد كان غامضا تماما بشان هذه الرحلة وقتا طويلا في هذا اليوم. سال يغير الموضوع :

– كيف حال ذراعك ؟

مررت يدها فوق الضمادة البيضاء وهي تئن عندما تذكرت جنون ليلة أمس في الموقع . قالت :

– إنها ستتحسن .. لقد كان مجرد جرح سطحي .

سارت السيارة في الطريق السريع وهما صامتان وحملقت "سكاي" إلى الجبال التي تحد جانبي الطريق ،فكرت في احداث ليلة البارحة . لقد ارتجفت عندما رأت هؤلاء الرجال ومعهم أوعية الكيروسين ، وعلى الرغم من أن ظلام المقطورة جعلها تامل الا يكون "كول" بها إلا أنها لم تكن واثقة بذلك تماما . كانت قد صممت على إنقاذ "كول" وعمله فقد خاطرت مخاطرة كبيرة ولم تحس بمضامينها ودوافعها إلا عندما اتجهت نحو مركز الشرطة.. لقد كان من الممكن ان تلقى حتفها . ارتجفت وهي تتذكر . سالها "كول" :

– هل تفكرين في ليلة امس ؟

أومات :

– إنني أتساءل ماذا يمكن أن يحدث لهم ؟ إنني لا زلت لا أصدق أنهم كانوا ينوون تدمير الموقع كله.

قال "كول" متجهما :

– أما انا فاصدق . لقد رايت ما يمكن أن تفعله المرارة والحقد في الناس.

سارا بالسيارة في صمت ودارت افكار "سكاي" حول الموضوع مرة ثانية . تساءلت ماذا يخطط "كول" . لقد حضر إليها في الساعة الثانية اليوم وطلب منها أن تخرج معه في نزهة بالسيارة. كانت تستطيع أن تخمن أنه سينقلها إلى مكان غير محدد من الطريقة الغريبة التي كان يتصرف بها .

لقد كانت هذه آخر مرة يرى كل منهما الآخر فيها ،ولو سارت الامور كما خطط فإنه ينهي عمله في الموقع غدا ويرحل في مساء الغد ، ولم تستطع أن تتخيل المفاجاة التي ستحدث في آخر ساعاتهما معا، ولكن مهما كانت النتيجة فإنه يسعدها أنها عرفت "كول دنتون" ، إنها لن تنساه أبدا . في الحقيقة إنهالن تستطيع أن تتغلب على ذلك ، ومع ذلك فهي تفضل أن تحب وتفقد الحبيب ... تنهدت . ماذا لو كرر طلبه أن تنتقل للحياة معه ؟ إن الأمر مغر جدا . في الليلة الماضية عندما فكرت في أنه يواجه خطرا مميتا لم تتردد أن تخاطر بحياتها من أجله . لقد كان رد فعل بلا تفكير ومن الغريزة وهو ما أكد أكثر من أي شيء آخر أنها تعزه وتقدره أكثر من حياتها .

إنها مستعدة أكثر أن تنتقل إلى المدينة من أجله . لقد قررت في الليلة الماضية وهي مستلقية فوق فراشها دون نوم بعد أن أوصلها "كول" أنها ستنتقل إلى المدينة من أجله لو أن لديه نية إقامة علاقة طويلة المدى. ولكنه لن يفعل . لقد أظهر بوضوح في ذلك اليوم أنه معارض تماما لهذه الفكرة . قال "كول" :

– لقد أوشكنا على الوصول .

نظرت حولها باهتمام متجدد وجلست مستقيمة في مقعد السيارة البيك أب . لقد كان متجها لأعلى طريق جبلي ولكنها استطاعت أن ترى من أحد الجانبين الامتداد الملتوي الحضري . لوادي "كولورادو سبرنغ" كان الطريق يطوق الجبل صاعدا وقد اصطفت على جانبه أشجار البلوط الطويلة يقطعها أحيانا بعض ساكني البيوت الصغيرة . ابتعد منظر المدينة ماعدا بعض اللمحات خلال فتحات الأشجار .

كلما صعدا الجبل زاد الطريق خشونة وبدت المنطقة حجرية أكثر.

قالت :

– إنه مكان جميل يا "كول" .

رد عليها بابتسامة ولكنها لاحظت أن أنامله بيضاء فوق عجلة القيادة وقد توتر فكه .. ما الذي جعله متوترا إلى هذه الدرجة ؟ قال وهو يدور في الطريق إلى ممر مغطى بالحصى :

– ها قد وصلنا .

نظرت إليه مرة ثانية وقد أذهلها التوتر في صوته ، ثم أثار انتباهها ما يحيط بها . كانت أشجار البلوط كثيفة في هذه المنطقة وأمامها منطقة نظيفة . عندما قاد "كول" الشاحنة للأمام رأت أجمل بيت في حياتها يبرز أمام عينيها .

كانت واجهته كلها من الزجاج والإطارات التي تحيط بالزجاج من الخشب الطبيعي بلون بني داكن وقد تكرر هذا اللون في أجزاء كثيرة من المنزل . كانت المناظر الطبيعية البديعة تجعلها لا تعرف أين هي حيث توقفت الطبيعة لتقدم عطاءها ،وبدأت يد الإنسان لتصنع حدائق غناء حيث زهور مزورعة وأشجار مغروسة في الفناء ومنطقة المرسى .

استدارت نحو "كول" فوجدته يفحصها ويرى رد فعلها .

– ماذا يا "كول –

قال :

– دعينا ندخل إلى الداخل .

تساءلت هل هو منزله ؟ ولماذا أحضرها إلى هنا ؟

تجولت داخل الحجرات وهي تعجب من المنظر الرائع والشعور بالفخامة التي يسودها عند رؤيتها . لقد أثث البيت بمنتهى الدقة وكان السجاد على جميع الأرضيات ،كما أن المطبخ كان مجهزا تمام التجهيز وبدا أنه مستعد لاستقبال من سيعيشون فيه .

غاصت فوق مقعد أمام الموقد طراز "فرانكلن" :

– إنني لن أخطو خطوة ما لم تخبرني عن كل شيء الآن .

رأت التوتر في فكه مرة أخرى على الرغم من أن صوته كان مرحا .

– هل تحبين هذا المكان يا "سكاي" ؟

– بالتأكيد إنني أعشقه .

– حسنا .

انحنى على السجادة وهو يزيل بقعة تراب وكأنها تستحوذ على كل انتباهه وأنها أهم شيء في العالم .

انفجرت :

– "كول دنتون" ستخبرني الآن وفورا لماذا تريني هذا البيت وإلا لن

أتحدث معك بعد الآن .

تجهمت بعد ذلك عندما أدركت أن هذا التهديد لا معنى له بعد اليوم لأنها لن تتاح لها أية فرصة للحديث معه مرة ثانية على ما يبدو . رفع نظره إليها :

– ما رأيك في أن تعيشي هنا ؟

– ماذا تعني ؟

هل يكرر عليها طلبه السابق أن تعيش معه فترة مؤقتة ؟ وكيف ترفضه وهو يبدو قلقا ومتوسلا ؟

– أعني هل تحبين أن تعيشي هنا معي ؟

انقلب قلبها . ها هو يكرر طلبه ولا تعرف إن كان لديها القلب والشجاعة أن تصده . عرفت في عينيه الرماديتين وهي غير قادرة على الكلام . قال وهو يتململ :

– يا إلهي ! لا تنظري إلي بهذه الطريقة يا امرأة .

سألته :

– إلى متى ؟

سألها وهو غير فاهم :

– ماذا تعنين إلى متى ؟

سألته بصبر وهي تنطق كل كلمة بمفردها :

– إلى متى تريد مني أن أعيش هنا معك ؟

ضغط يدها بقوة :

– آه ! فقط إلى أي مدة تريدين أن تبقي يا سيدتي .

أحست بأمل يبزغ وأحست بحلقها يختنق ولا تستطيع الحديث . قال بسرعة :

– يمكنك أن تأخذي وقتك في التفكير . أعلم أنه ليس في إمكاني أن أطلب منك الزواج من رجل في سني ، ولكن إن حضرت إلى هنا وعشت معك إلى الفترة التي تريدينها ساتركك حتى لو أردت البقاء أشهراً قليلة .. أي فترة نقضيها معا مناسبة لي . لقد قلت "لا" من قبل ومن الجرأة أن أطلب ذلك منك مرة أخرى وأعرف ذلك ، ولكن علي أن أحاول لأنني

أريدك أكثر مما أردت شيئا آخر في الحياة كلها .

ترقرقت الدموع في عينيها من الفرح وأحست بالخفة بداخلها وكأنها بالونة وقالت :

– أحبك يا "كول" .

أسندت قبضة يده إلى يدها بطريقة عصبية ونظر إليها وكأنه لم يسمع ما قالته بطريقة صحيحة . قالت :

– ولكني لن أحضر لأعيش معك .

أسقط يدها وانطفأ النور من عينيه فأكملت :

– إنني لن أحضر لأعيش معك ما لم يكن ذلك بصفة مستمرة ، ما لم نتزوج .

رفع عينيه بسرعة إلى عينيها :

– ماذا تقولين ؟

أدارت عينيها وقالت وهي تبتسم :

– إنني أرى أنك ستصبح زوجا رائعا .

– زوج ؟ أتعنين أنك ؟

قالت بحرص شديد :

– أعني .. أنني سأتزوجك وأعيش معك للأبد وما تقوله عن أنك عجوز هو مجرد هراء .

جثا على ركبتيه أمامها وهو يجذبها إليه ويضمها بشدة حتى إنها لم تستطع التنفس بسهولة .

– هل تعنين ذلك .. هل تعنين ما تقولينه ؟

قالت برقة :

– بالتأكيد أعنيه .. ولكن يا "كول" ..

– ماذا يا عزيزتي ؟

– إنك تخنقني .

تركها وإن ظل ممسكا بيدها وينظر بقوة في عينيها .

– لقد كنت متأكدا تماما من أنك ستقولين لا .. لقد ظننت أنك تكرهين فكرة أن تكوني معي . لقد كنت قاطعة عندما سألتك أن تعيشي

معي من قبل .

– ذلك أنك كنت تسألني أن أقيم علاقة حب معك لأشهر قليلة . وكنت أحبك بشدة حتى إنني لا أقبل ذلك وكنت أعلم أنني لن أتحمل صدمة قلبي عند الفراق وتركك بعد أن تذوقت الحياة معك . نظر إلى عينيها وكأنه لا يستطيع أن يصدق ما تقوله .

قال أخيرا :

– إنك لم تعرفي كل الطرق التي فكرت فيها لتحسين الاتفاق .

– إنني لن أجد أحسن ولا أحلى من ذلك .

قال وهي تعد على أصابعها :

– أولاً : إن هذا المكان على بعد ساعتين من "كروكد فورك" حتى يمكنك الذهاب إلى هناك في أي وقت تشائين زيارته . ثانيا :هناك على الأقل كليتان لدراسة التمريض في "كولورادو سبرنجز" لذا لو أردت إنهاء دراستك يمكنك ذلك . وعدد آخر لا أستطيع وصفه لك . تبعته في شك وهو يقودها نحو جزء من البيت لم تكتشفه وفتح الباب وأشار إليها أن تدخل أولا كان ضوء السماء ينير المكان وكان أحد الجدران مصنوعا من الزجاج بينما انحدر الجبل في الخارج على شكل نصف دائرة بحدة ليكشف بوضوح عن المناظر المغطاة بالثلج عن بعد . رأت حامل لوحات وسط الغرفة وأرفف وأدراجا ودواليب على الجدار المقابل ،وفي أعلى الأرفف علقت لوحتان وسط إطاريهما وعندما فحصتهما وجدت أنها هي التي رسمتهما ،سألته :

– من أين حصلت عليهما ؟

– من محل التذكارات في "كروكد فورك" .. حسنا هل تعجبك ؟ هل يمكنك أن ترسمي هنا ؟

لقد أعد هذه الغرفة من أجلها ! من أجل رسمها .دارت حول نفسها وهي تنظر إلى كل شيء وقلبها يدق .

– "كول" إنها رائعة وكاملة ! إنه أجمل استوديو رأيته .

– هذه بعض الإغراءات .

احتضنها فأسندت رأسها إلى صدره القوي وأغلقت عينيها . كانت تسمع صوت ضربات قلبه وهي تحس بذراعيه القويتين حولها لبقية حياتها

. همست :

– لست في حاجة لأن تقدم لي أية إغراءات أنت تكفي .

– أوه يا "سكاي" .. لقد كنت أخشى تماما أن تبتعدي عني وأحاول أن أجد أية وسيلة لتقربني منك ، لقد أعددت كل ذلك خلال الأسابيع الماضية ولكن بعد ذلك اليوم ظننت أنني لن أتمكن من أن أريها لك ، وفجأة تذكرت شيئا ما . قالت له وهي تنظر بإمعان في عينيه :

– ولكن ماذا عنك يا "كول" ؟ ماذا ستفعل ؟ أنت رجل المدينة وماذا عن منتجعات "دنتون" السياحية ؟

قال وهو يبتسم لها :

– سيسير كل شيء على أفضل ما يرام . إن لدينا مشروعا آخر على بعد ميلين فقط من "كولورادو سبرنجز" وبهذا المشروع ومشروع "كروكد فورك" فإن هذا المكان سيصبح مركز أعمالنا في هذا الجزء من الولايات المتحدة الأمريكية . لذا فإننا سننتقل من "دينفر" إلى "كولورادو سبرنجز" لقد اتخذت مع أخي هذا القرار من شهر عندما التقينا في "دينفر" .

– لست أصدق أن الأمور تسير هذا السير الحسن غير المتوقع . لقد ظننت أن اليوم هو آخر يوم أراك فيه .

أخذا يتجولان ببطء وسط البيت ليلاحظا بعض الملامح التي لم يروها بعد وكانت هذه المرة كلما رفعت رأسها لتنظر إليه ترى الحب يلمع في عينيه . أخيرا فتحا آخر باب وعندما دخلت لم تستطع أن تمنع نفسها من الاحمرار خجلا حيث وجدت سريرا ضخما ومائدتين ودواليب ومقاعد مريحة وكانت السجادة سميكة بحيث غاصت قدماها فيها .

سألته وهي تعاكسه :

– هل قررت أن تفرش هذه الحجرة أولا ؟

قال لها وهو يحيطها بذراعيه :

– إن لي أولو ياتي .. أنا أحبك يا سيدة .. يا إلهي . كم أحبك !

استسلمت لقبلاته وهي تعلم أنها ستجد في الحب أحسن بيت لها .

تمّت بعون الله